جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الأنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الأجتماعية



مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية

فلسفة

فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:

صبرينة صبايحي

يوم: **21/10/2020**

الحرية عند جان جاك روسو

لجنة المناقشة:

زيان محمد	د	جامعة محمد خيضر – بسكرة -	**مقررا**
حمدي لكحل	د	جامعة محمد خيضر – بسكرة -	**مناقشا**
بن جلطي محمد	د	جامعة محمد خيضر – بسكرة -	**رئيسا**

السنة الجامعية : 2019 – 2020


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما

إلى كل أفراد عائلتي محبة وعرفانا

وإلى صديقتي العزيزة صالحي آسيا

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد

كلمة شكر

أشكر الله تعالى على فضله الكريم على

منحي العون في إنجاز هذا العمل، فالحمد له أولا وأخيرا

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي المحترم *زيان محمد* الذي تفضل بالإشراف على البحث

وعلى كل ما قدمه لي من مساعدة في تقديمه لنصائح وتوجيهات رغم كل الظروف الصعبة

التي أحاطت بنا

فجزاه الله كل خير وله مني كل الشكر والتقدير.

فهرس المحتويات

مقدمة

إن الحديث عن مسألة الحرية يعد من أهم مسائل الفلسفة السياسية فقد وجدت منذ القدم في صلب الاهتمامات الفكرية للعديد من الأكادمين والمفكرين كانوا غربيين أو عربا، هذه الحرية كانت ولا تزال تخفق لها قلوب البشرية للوصول إليها، ولكون هذه الأخيرة استطاعت أن تشق مسارا طويلا لتحدد لنفسها هدف يمجد طبيعة الفرد، ويضع له مكانة بارزة من أجل التكفل بحقوقه كافة، وبذلك فقد ألفينا تضاربا كبيرا في الوقوف على مفهوم واحد وواضح يناسب المسائل السياسية والاجتماعية ، وهذا لأن التجارب التاريخية التي تداولت هذا الموضوع أنتجت معاني واسعة للمفهوم، حيث أصبحت الحرية جوهر طبيعي ومطلب ينشده الإنسان على مدار التاريخ، وشعار ساهمت في بلورته العديد من الحضارات والثقافات، فقد احتلت منذ القديم الركن الأساسي في التعريف بماهية الإنسان إذ لا يمكن أن نتصور إحداهما منفصلا على الآخر، فولادتها كقيمة إنسانية سامية وبقاءها في جوهرها الأصلي تعبر عن كرامته وتسعى إلى تحقيق إنسانيته، وعن حقه الأساسي للعيش في ضل مجتمع حضاري، بعدما كان يرزخ في تجاهل لطبيعته وتقيد حريته، هذا الدور الكبير الذي لعبته الحرية جعل منها أنبل الصفات ووضعها ضمن أهم مرتكزات حقوق الإنسان، وقوام بناء المجتمعات الصالحة.

إن من طبيعة الإنسان البحث عن حالة أفضل للعيش في أمن وسلام، حياة تعمها المساواة والحرية، حيث كانت هذه الأخيرة مطلب إنساني ملح تتداخل معها الكثير من المفاهيم كالحق والعدالة، والتي تشكل منطلقات أساسية لمجتمع سياسي ناجح ينظم حياة الفرد لتكون هذه الفكرة والدعوة إليها من أهم الموضوعات التي شغلت بال العديد من

المفكرين والفلاسفة، والمقصود **بالحرية "La Liberté"** هي ذلك الحق الملازم لجميع البشر مهما اختلفت أديانهم أو لغاتهم أو جنسياتهم أو أصلهم وبدون تميز، ولئن ولد الإنسان بطبعه وتكوينه مفطورا على الحرية لا يزال الاهتمام بها واضح في الكثير من الآراء الفلسفية والاجتماعية والسياسية، إذ تعددت لتصبح هما سياسيا في كافة دول العالم وحق يطالب به كافة الشعوب، ومقولة محورية تقوم عليها الديمقراطية، ومقوما من مقومات الحداثة الاجتماعية والسياسية.

إن فكرة الحرية ليست بالفكرة الجديدة إذ جذورها كانت قديمة، إلا أنها شهدت تطور كبير في العصر الحديث أو ما يعرف بعصر الأنوار تعكسه المنزلة التي أصبح يحتلها الفرد في التمتع بحقه داخل الدولة، وهذا بجميع فلاسفته وبالأخص الفيلسوف والأديب الفرنسي الذي هو موضوع دراستنا "**جان جاك روسو**" Jean-Jacques Rousseau 1712−1778 هذا الأخير الذي جعل من الحرية محور فلسفته السياسية، ومن الذين دافعوا عليها في الكثير من مقولاته التي عولجت في ثنايا مؤلفاته، فشخصية روسو تعد من أبرز فلاسفة عصر التنوير، وأكثرهم تأثيرا على الإطلاق في الفكر السياسي والاجتماعي، حيث شغل أذهان الناس بعطائه الفكري الذي شكل منعطفا نوعيا لتشكل منطلقا للفكر الحر في تاريخ الفلسفة الأوربية الحديثة عامة والفلسفة الفرنسية خاصة، وذلك من خلال قدرته على صياغة نموذجا فلسفيا يختلف تماما عن كل ما سبقوه، فقط استطاع أن يولد في فلسفته السياسية روحا جديدة تؤمن إيمانا تام بالحرية ورفض كل أشكال الفساد والظلم الذي عايشته بلاده، فاتجه طريق مختلفا عن طريق دعاة التنوير من خلال الثورة على كل العادات والتقاليد التي كانت سائدة

في المجتمع الفرنسي من بذخ وتفاخرا، ناهيك عن معارضته لنظام السياسي المستبد محاولا بذلك تحسين وضع البشرية، ورفع مكانة الإنسان وبيان حقوقه الطبيعية.

حدد كتاب روسو العقد الاجتماعي 1762 الذي يعد إنجيل الثورة الفرنسية الخطوط العريضة للنظم التي هيأت للديمقراطية ، كما ووضع معالم الحرية، في أن القوة لا يمكنها أن تؤسس للحق، وأن النظام السياسي لا يمكن أن يقوم على أساس العبودية، وإنما تحت سلطة الإرادة العامة لشعب، وبإسهامه هذا يعد النموذج الذي يقتدى به في تاريخ الفلسفة لما اشتملت عليه فلسفته السياسية الفريدة من اهتمام العديد من السياسيين والمفكرين أمثال **إدموند بيرك** Edmund Burke 1729−1797 **وهيغل** Hegel Georg 1770− 1831 Wilhelm Friedrich.

ولعل من أهم أسباب اختياري للموضوع هو الميل للفكر السياسي الغربي الحديث، وبالأخص طبيعة الموضوع التي أثارت اهتمامي لما لها من جوانب سياسية واجتماعية متعلقة بالواقع البشرية، وكذلك رغبتي في التعرف على شخصية وسيرة الفيلسوف والأديب **جان جاك روسو** Jean-Jacques Rousseau 1712−1778 ومدى تأثير فلسفته وفكره على مدار التاريخ، ناهيك عن ذلك امتداد قضية الحرية في كافة الدولة الغربية والعربية فهذه الأخيرة التي شهدت العديد من الثورات على الأنظمة السياسية والأوضاع الاجتماعية، بغية العيش في كنف الحرية، إضافة إلى ضرورة الالتفات إلى تجربة روسو الفذة في عصره، والاستفادة منها، كونها تجربة تساعد المجتمعات العربية في إعادة التفكير في الأنظمة

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وإرساء أسس مجتمع حضاري، تتحقق فيه الطمأنينة والسلام، ويحترم مواطنيه ويؤمن لهم مبادئ الحرية والمساواة والعدالة.

وعليه تكون **إشكالية الدراسة كالآتي:** كيف وفقت فلسفة روسو بين الحرية الفردية والتأسيس لمنطلق الدولة؟، وتحت هذا الإشكال انبثق عدد من **الأسئلة الفرعية** يمكن صياغتها على هذا النحو: فيما تتمثل النظرة التصورية لجان جاك روسو للحرية؟. وما مدى تأثير نظرية روسو في الفكر الغربي والفكر العربي ؟.

ولرد على الإشكالية اعتمدنا على خطة شاملة تستوفي شروط العمل بكل جزيئاته، حيث جاء تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، على النحو التالي:

الفصل الأول جاء بعنوان "مفهوم الحرية وتاريخيتها" وقد تناولت فيه مبحثين، المبحث الأول مفهوم الحرية لغة واصطلاحا فصلت من خلاله للمعنى من زواياه المختلفة، أما الثاني فكان يناقش السياق التاريخي للحرية خصصته في تتبع المسار العام للمفهوم، حيث ارتأيت فيه تقديم تصورات لنموذجين من الفلاسفة في الفترة اليونانية هما أفلاطون أرسطو لما لهما من تأثير في المجتمع الإغريقي، حيث ركزا على الفهم السياسي لفكرة الحرية وأنها تنطلق من مجتمع يخضع للدستور والقانون، ثم بعد ذلك تناولت نموذجين في العصور الوسطى، حيث أشرت إلى رؤية القديس أوغسطين كمفكر مسيحي يؤمن بأن الحرية أهم ما يملكه الفرد في الاختيار بين الخير والشر، ثم أبي نصر الفارابي كمفكر إسلامي يرى أن إرادة الإنسان يجب أن تكون حرة للوصول إلى السعادة، ثم بعد ذلك تناولت فكرة الحرية مع نموذجين من العصر الحديث هما ديكارت René Descartes 1596−1650 وجون

لوك John Locke 1632 –1704 والتي أخذت طابع آخر من خلال تحرير الإنسان من سلطة البابا والكنيسة، أما **الفصل الثاني** فكان موسوما ب "فلسفة الحرية عند جان جاك روسو" تحت ثلاث مباحث، حيث جاء الأول التأصيل الفلسفي للحرية، ركزت فيه على توضيح الأوضاع السائدة في فرنسا القرن18 وكيف كان يعيش الشعب الفرنسي في ضل نظام استبدادي تغيب فيه أبسط حقوقه وهي الحرية، والتي بدورها ساهمت في تشكيل فكر روسو حيث تأثر بواقع بلاده المزري، مما جعله ينادي بالتغير، أما المبحث الثاني بعنوان الحرية عند روسو حاولت هنا البحث عن هذه الفكرة في مشروعه السياسي، انطلاقا من تمجيده للحالة الطبيعية ووصفها له بأنها أفضل الحالات هناءا وأمنا، ثم كيف انتقل الإنسان من هذه الحالة إلى عصر المدينة، وكيف ساهمت التغيرات التي طرأت على الإنسان وظهور الصراعات الاجتماعية بين البشر، ثم تناولت بعد ذلك العقد الاجتماعي عند روسو كفضاء للحرية يتحد الواحد مع الكل، أما المبحث الثالث جاء بعنوان آليات الدفاع عن الحرية عند روسو عرضت فيه كل من السيادة الشعبية والإرادة العامة والقانون كوسائل داخل الدولة تهدف لحماية وصيانة الحرية، أما **الفصل الثالث** فكان بعنوان أبعاد الفكر الروسوي والذي أنطوى تحت مبحثين، حيث تناولت في الأول نتائج الفكر الروسوي على الفكر الغربي خصصت هذا المبحث في أثر أفكار روسو السياسية في قيام الثورة الفرنسية 1789 وإعلان حقوق المواطن الفرنسي والسير نحو نظام ديمقراطي يرجع مكانة الحرية والمساواة، أما الثاني فكان نتائج الفكر الروسوي على الفكر العربي تحدثت فيه عن نموذجين من المفكرين العرب المتأثرين بأفكار روسو، حيث اخترت فرح أنطون كمفكر استلهم من كتابات روسو الكثير

من الأفكار، وعبد الله العروي الذي ترجم كتب عديدة من بينها عقيدة في جبل السافوا وهي الجزء الرابع من كتاب روسو الشهير "إميل" 1762 ليضع له عنوان آخر"دين الفطرة" هدفه بذلك الدفاع عن بساطة وفطرية الدين الذي دعى إليه روسو، وبعد ذلك أضفت النقد والتقييم وفي الأخير خرجت بخاتمة كحوصلة لنتائج بحثي هذا.

وللرد على الخطة حاولت الاعتماد على **المنهج التحليلي** وذلك من أجل عرض المسألة التي تتعلق بموضوع البحث، بالإضافة إلى تحليل وشرح أفكار وأراء روسو حتى يتسنى لنا فهم مضمون تلك الأفكار، وكذا **المنهج التاريخي** من خلال البحث في الجذور الأولى لمفهوم الحرية وصولا إلى روسو.

تحتوي الشخصية التي عولجت في هذه الدراسة على عدد لا بأس به من المؤلفات والدراسات التي تطرقت إلي جوانب مختلفة من فكره، إلا أن الأمر الذي يجدر بنا الإشارة إليه هي تلك الدراسات التي ناقشت فكره من جانبه السياسي، كمسألة حقوق الإنسان والمواطنة، في هذا الصدد نجد العمل للدكتور حسين هيكل من خلال كتابه روسو حياته وكتبه، كما نجد عمل آخر و هو رسالة ماجستير للطالب **نعمون مسعود** بعنوان **التأسيس الفلسفي في فكرة حقوق الإنسان عند روسو** عام 2008 – 2009 في جامعة قسنطينة حيث عالج فيها مسألة حقوق الإنسان والذي بدوره يشكل مبدأ هاما في فكره، كما نجد رسالة دكتوراه أخرى لطالبة **ديما عيسى محمود** بعنوان **الطبيعة البشرية عند فلاسفة التنوير وأبعادها التربوية** 2015 جامعة دمشق، حاولت من خلالها التطرق لمفهوم مسألة الطبيعة

البشرية عند فلاسفة التنوير وكيف شكلت أوضاع أوربا منطلقا لهؤلاء الفلاسفة، وأخص بالذكر روسو الذي أثبت من خلالها على حرية وخيرية طبيعة البشر، وأن المجتمع المدني هو الذي أفسد طبيعته، إضافة إلى عمل آخر لطالب **زيان محمد** بعنوان **قيم المواطنة في الفكر السياسي الحديث والمعاصر** 2018-2019 في جامعة وهران2 ، والذي وقف فيه على الإطارات المهمة في فلسفة روسو وهي المواطنة وكيف أسهم في إضفاء الشرعية السياسية والأخلاقية لهذا المفهوم ومدى اعتبار هذه الشخصية نموذج يرمز لفلسفة عالمية.

وطبعا لا يخلوا أي بحث من صعوبات تواجه الباحث أثناء بحثه نذكر منها كثرة المراجع وتضارب الآراء في مذكرة بسيطة الحجم، مما صعب الإلمام بها جميعا، كذلك عدم إتقان اللغة الأجنبية كمبتدئين طبعا في قراءة نصوص روسو والتي كان من الضروري إدراجها.

الفصل الأول: مفهوم الحرية وتاريخيتها

المبحث الأول: مفهوم الحرية لغة واصطلاحا

1: تعريف الحرية لغة

2: تعريف الحرية اصطلاحا

المبحث الثاني: السياق التاريخي للحرية

1: الحرية في الفكر اليوناني

2: الحرية في العصور الوسطى

3: الحرية في العصر الحديث

مدخل:

يعد موضوع الحرية من أهم الموضوعات التي شغلت تفكير العديد من الفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ وذلك لطبيعتها، فلو أردنا تتبع السياق التاريخي لها لوجدناها قابعة في كل تفكير، لذا فإن مفهومها يختلف من فيلسوف إلى أخر، ومن بيئة إلى أخرى وبناءا على ذلك فإن البحث عن تعريف شامل لها سوف يضل أمرا صعبا طالما أن هذا المفهوم مختلف ومتذبذب عبر الزمان، ووفقا لهذا فإنني ارتأيت في بداية هذا الفصل على الوقوف على المعنى الحقيقي للحرية مع تقديم نظرة الفلاسفة لها بداية من العهد اليوناني وحتى العصر الحديث.

المبحث الأول: مفهوم الحرية لغة واصطلاحا:

تعريف الحرية:

لغة:

جاء في لسان العرب **لإبن منظور**: "والحر بالضم نقيض العبد والجمع أحرار وحرار والحر نقيض الأمة والجمع حرائر وتحرير الرقبة عتقها وحرره أعتقه وفي الحديث من فعل كذا وكذا فله عدل محرر أي أجر معتق المحرر الذي جعل من العبيد حرا."[1]

أما في معجم **العين للخليل بن أحمد** : أن " الحر نقيض العبد ، حر بين الحرورية والحرية والحرار. والحرية من الناس: خيارهم ، والحر من كل شيء أعتقه ."[2]

وفي" كلمة أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه الشهيرة : ما يدل على استخدام كلمة حر في مقابل استعباد الناس وسلبهم حقوقهم وممارسة نوع من الملكية والهيمنة عليهم قال رضي الله عنه : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار."[3]

ويضيف **الراغب الأصفهاني**: "إن الحر: خلاف العبد ، يقال حر بين الحرورية والحرورة ، والحرية ضربان: الأول: من لم يجري عليه حكم الشيء والثاني: من لم تتملكه الصفات الذميمة."[4]

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، ص 188.

[2] – الفراهيدي ، الخليل بن أحمد: كتاب العين ، تحقيق هنداوي عبد الحميد ، جز1 ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت لبنان ، 2003 ، ص 303.

[3] – الحميدي ،عبد العزيز بن أحمد بن محسن: مفاهيم الحرية وتطبيقاتها ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث ، ط1 ، السعودية 2013 ، ص 10.

[4] – الراغب ، الأصفهاني: مفردات ألفاظ الفرآن ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، ص 224.

أما في معجم **جميل صليبيا** يشير أن " الحر ضد العبد، والحر: الكريم، والخالص من الشوائب، والحر من الأشياء أفضلها، ومن القول أو الفعل أحسنه. تقول حر العبد حرارا خلص من الرق، وحر فلان حرية كان حر الأصل شريفه."[1]

الحرية في **اللغات الأجنبية**

الحرية في اللغة الفرنسية: "وهي ترجمة للكلمة Liberté، وفي اللغة الإنجليزية هي Liberty، Freedoml، وفي اللاتينية هي ترجمة للكلمة اللاتينية Libertas."[2]

وجاء في معجم **لاروس:** "أن الحرية هي ضد العبودية بمعنى أنه يجب على الشخص أن يمارس حريته دون الخضوع لتقيد أو الجبر."[3]

[1] – صليبا ، جميل: المعجم الفلسفي ، جز1 ، دار الكتاب اللبناني ، دط ، بيروت ، 1982 ، ص.461

[2] – المرجع نفسه، ص 461.

[3]– Dictionnaire Larousse de français, Achevé d'imprimer par Malesherbes France, 2008, p244

اصطلاحا:

يعتبر موضوع الحرية من المسائل القليلة التي أجمعت عليها البشرية فقد تعددت التوجهات وتباينت واختلفت الآراء في الوصول إلي معنى واحد متفق عليه.

حيث يقول **لالاند:** "الإنسان الحر هو الذي لا يكون عبدا أو سجينا ، الحرية هي حالة ذلك الذي يفعل ما يشاء، وليس ما يريده شخص أخر سواه ، أي غياب الإكراه الخارجي."[1] وهو المعنى القديم لها إذ كان الإنسان سابقا خاضع للعبودية، كان يستغل في الأعمال الشاقة ويمارس عليه أشد أنواع العذاب، فكان يتم بيعه وشرائه والتحكم فيه، ولا مجال لأن يمارس حريته مثله مثل السجين الذي لا يستطيع أن يفعل شيء بدون أن يكون مقيد، فالعبودية والسجن حواجز أمام حرية الفرد.

تأخذ الحرية **معنى اجتماعي** من خلال ما جاء في معجم المصطلحات الاجتماعية " أنها هي القدرة على الاختيار بين عدة أشياء أي حرية التصرف والعيش، والسلوك حسب توجيه الإرادة العاقلة دون الإضرار بالغير أو دون الخضوع لأي ضغط إلا ما فرضته القوانين العادلة الضرورية وواجبات الحياة الاجتماعية." [2] وبهذا المعنى تكون الحرية هي ممارسة الحقوق تحت توجيه الإرادة بدون أي ضغط وبدون التعدي على الأخر وتحت سلطة القانون.

---

[1] -لالاند ، أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول(A-G) ، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات ، ط2 ، بيروت باريس، 2001، ص728.

[2]- بدوي، أحمد زكي: معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة بستان للنشر، (دط) ، بيروت، ص168.

مما جعل الحرية تأخذ **معنى سياسي** إذ يعرفها **لالاند** أن "المرء حر في أن يفعل كل ما لا يمنعه القانون."[1] وفي هذا السياق يصبح الفرد حرا في جميع أفعاله، ولكن في نفس الوقت حريته تتوقف عند النظام القانوني الذي تفرضه الدولة .

أما في **الاصطلاح الفلسفي** نجد أن الكثير من المفكرين اهتموا بالبحث في الحرية كل ونظرته المختلفة لها.

حيث يعرفها **سبينوزا** 1632 –1671 Baruch Spinoza*: "أنها الخلو من القسر فيقول: هذا الشيء يدعى حرا إذا كان يوجد وفقا لضرورة ماهيته وحدها ويعين لذاته بذاته للفعل ."[2]

أما **ليبنيتز**:Gottfried Wilhelm Leibniz1716-1647** " إن الحرية تكون أوفر كلما كان الفعل صادرا عن العقل، وتكون أقل كلما كان الفعل صادرا عن الانفعال."[3]

وهنا يربط ليبنيتز الحرية بالعقل كونه القادر على إطلاقها على غرار شعورنا.

---

[1] –لالاند أندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية ، مرجع سبق ذكره ، ص 728.

***باروخ سبينوزا:** هو فيلسوف وسياسي ولد في أمستردام ينحدر من أسرة من اليهود البرتغاليين قضى حياته في الدرس والتأمل تعلم اللاتينية وكان يتكلم الإسبانية من أهم كتبه الرسالة اللاهوتية والسياسية والأخلاق انظر طرابيشي جورج ، معجم الفلاسفة، دار الطليعة لطباعة والنشر ، ط3 ، بيروت لبنان ،2006 ، ص ص 359– 360.

[2] – بدوي عبد الرحمان ، موسوعة الفلسفة ، ج1 ، المؤسسة العربية للدرسات والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1984 ، ص 460.

****ليبنيتز غوتفريد فلهلم:** فيلسوف ألماني ولاهوتي درس الرياضيات كيميائي ومؤرخ تعلم اللاتينية واليونانية من إهتمامته المنطق والميتافيزيقا أنظر: طرابيشي ، جورج ، معجم الفلاسفة ، مرجع سبق ذكره ، ص 587.

[3] – بدوي عبد الرحمان: موسوعة الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 460.

إضافة إلى ذلك نجد الفيلسوف **فولتير** VOLTAIRE 1694-1778 يقول هي "تلك القدرة التي مارستها ذاتك على أداء ما اقتضته إرادتك من ضرورة مطلقة، وبالتالي هي القدرة على فعل ما أريد أن أفعله" [1] من هذا القول نفهم أنا الحرية ليست مطلقة وإنما تمارس وفق لما تقتضيه أفعالنا من ضرورة.

ويؤكد إضافة لكلامنا هذا **عبد الله العروي:** أن "مسألة التشبث بالحرية عند الفرد داخل المجتمع أنه يحتاج إلى أمرين اثنين الأول إثبات الحرية كحق أصلي ضروري بديهي لا يقبل النقاش أو المنازعة، والثاني هدف تتعين فيه الحرية المجردة المطلقة ، وهذان الأمران متوفران لدى الشخص من خلال تجربته اليومية لا حاجة إلى التدليل على أن الحرية حق طبيعي ما دامت الحياة تستلزمها وتحتمها."[2] إذ يؤكد العروي هنا أن على الإنسان التمتع بالحرية داخل مجتمعه، لأنها تمثل عنده معطى طبيعي لا مجال لنزع هذا الحق على البشر.

يقول **زكريا إبراهيم** أن الحرية "هي الملكة الخاصة التي تميز الكائن من حيث هو موجود عاقل يصدر في أفعاله عن إرادته هو لا إرادة أخرى غريبة ."[3] وهو ما يبين أن الحرية خاصية إنسانية، بواسطتها يستطيع الإنسان أن يقوم بجميع التصرفات تحت ما تملي

---

[1] – فولتير: قاموس فولتير الفلسفي ، تر: نبيل يوسف ، مؤسسة هنداوي ، دط ، المملكة المتحدة ، 2017 ، ص 190.

[2] – العرباوي ، عزيز: مفهوم الحرية في الإسلام وفي الفكر الغربي رؤية بانورامية ، مؤمنون بلا حدود لدراسات والأبحاث ، (دط) ، 2016، المملكة المغربية، ص6.

[3] – إبراهيم ، زكريا: مشكلة الحرية ، مكتبة مصر ، (دط) ، القاهرة، 1971، ص 16.

عليه إرادته. فالشاهد من خلال هذه القراءة يتبين أن الحرية مسألة عولجت بطريقة مختلفة كل حسب رؤيته الخاصة.

المبحث الثاني: السياق التاريخي للحرية

1. الحرية في الفكر اليوناني:

تكاد الكتابات في مجال الفكر السياسي تجمع على اعتبار العصر اليوناني منطلق لجميع المفاهيم والأفكار السياسية، "فمعظم المثل العليا السياسية الحديثة كالعدالة والحرية والحكومة الدستورية واحترام القانون _ قد بدأت أو على الأقل بدأ تحديد مدلولها_ بتأمل فلاسفة الإغريق بنظم دولة المدينة التي كانت تحت أنظارهم." [1] إذ لم تنشأ هذه الأخيرة إلى في ضل توفر الحريات السياسية من هنا أصبحت المدينة ذلك النموذج الذي تظهر فيه ملامح هذه الأنظمة والوعي السياسي للمواطن الإغريقي،" بحيث تجسدت معالم تجربة فريدة تمثلت في قدرتهم على إيجاد نقاش عمومي حر متعلق بشؤونهم العامة بعيدا كل البعد عن العنف أو الإكراه."[2] وهذا ما سوف نجده عند كل من أفلاطون وأرسطو.

I. أفلاطون: plato (428-348 ق.م)

يعد أفلاطون من بين الفلاسفة السياسيين الأوائل الذي قدم نسق متكامل وشامل لفكر البشري وهذا ما جعله المرجع لجميع الفلاسفة من بعده، حيث كانت كل مسائله متصلة

[1]– سباين ، جورج : تطور الفكر السياسي، تر، العروسي حسن جلال ، جز1 ، دار المعارف ، دط ، مصر، ص 39.

[2] – الشادلي ، المصطفى : حنة آرندت ونقد التصور الفلسفي للحرية ، مجلة تبين ، المجلد7 ، العدد 25 ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018، ص37.

بالفلسفة السياسية، وكيف يكون الحكم داخل المجتمع، عالج كل هذا في أعماله المختلفة والمتمثلة في محاورة **الجمهورية، السياسي، القوانين**، فكل محاورة من هذه المحاورات كانت تعبر عن ذلك الرصيد المعرفي الذي أثبته أفلاطون.

ينطلق أفلاطون في تفسيره للحياة السياسية والاجتماعية للإنسان من إعطاء الأولوية لفضيلة العدل" فالمجتمع السياسي الفاضل هو المجتمع السياسي العادل ويتحقق العدل في المجتمع من خلال تكامل جهود أفراده وقيام كل فرد بالوظيفة الاجتماعية التي تتناسب مع مهاراته واستعداداته النفسية والجسدية ."[1] كانت فكرة العدالة هي الأهم في فلسفة أفلاطون إذ أعتبر أن كل فرد من أفراد المجتمع عندما يقوم بجميع ما فرض عليه من واجبات ومهام فإنه يتحقق بذلك مجتمع سياسي عادل، حيث يقول في هذا الصدد "**إن العدالة إنما هي أن يمتلك المرء ما ينتمي فعلا ويؤدي الوظيفة الخاصة به**".[2] فالشاهد من خلال هذه القراءة أن فلسفة أفلاطون تقوم بالدرجة الأولى على العدل والتوازن الداخلي في المدينة، وهذا العدل هو الذي يوفر للفرد أن يعرف مهامه ووظائفه وأن يمارس حريته المدنية من خلال تأدية جميع الوظائف الاجتماعية على أكمل وجه له.

والدليل على قيمة العدل والحرية بمنظور أفلاطون هو تقسيمه للمجتمع إلى طبقات وكل طبقة تعرف ما تقوم به " فأولا: طبقة **الحكام الفلاسفة** وهي أرفع الطبقات ويوكل إليهم أمر الحكم وإدارة دقة البلاد بالعقل والحكمة، وثانيا طبقة **الجند أو المحاربين** ويوكل عليهم مهمة

[1] –صافي ، لؤي: الحرية والمواطنة والإسلام السياسي قضايا الربيع العربي والتحولات السياسية الكبرى، دار المجتمع المدني والدستور، ط1 ، 2012، ص124.

[2] – أفلاطون : الجمهورية ، تر: زكريا فؤاد ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، (دط) ، الإسكندرية ، 2004 ، ص87.

الدفاع عن الدولة من الناحيتين الداخلية والخارجية وهؤلاء يجب أن يتسموا بالشجاعة، وثالثا: طبقة **العمال من زراع وصناع وتجار**: وهي أدنى الطبقات أي أنها تضم السواد الأعظم من الشعب ويوكل إليها أمر الإنتاج والسهر على تأمين الحياة."[1] كان غرض أفلاطون من خلال هذا التقسيم هو الوصول إلى المدينة المثالية، من خلال معرفة كل طبقة من هذه الطبقات ما يجب أن تؤديه من وظائف، لأنه لم ينظر إلى الناس نظرة متساوية في المجتمع فاعتبر أن هناك تفاوت بينهم، وبالتالي يخضع جميع البشر لهذا التساوي سواء في الحقوق والواجبات والحريات، فكانت هذه الأخيرة مقسمة على هذه الفئات فالفئة الأولى تتمتع بالحرية السياسية كونها مسؤولة على ممارسة الشؤون العامة وإصدار القوانين والتشريعات، والفئة الثانية تتمتع بتلك الحرية التي تخولها على الدفاع عن الدولة لأنها تتمتع بصفة الشجاعة، والفئة الأخيرة أعطى لهم الحرية الكاملة في العمل والإنتاج، وهي تشمل غالبية المجتمع ولكن حريتهم تتوقف داخل هذا الإطار دون ممارسة الحرية السياسية.

"كان الحكم في الدولة المثالية يستند إلى طائفة الفلاسفة الحكماء، وذلك لإنصافهم بالمعرفة والفضيلة ولقدرتهم على تصور القوانين العادلة."[2] نلتمس من هذا أن أفلاطون في تصوره لنظام مدينته جعل من الحاكمين هي الطبقة الأحق في الحكم، وعلى الجميع الخضوع والطاعة لهذا النظام، لكونها تتمتع بسمة الحكمة والمعرفة.

---

[1] – عباس عطيتو ، حربي: ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، دط ، الإسكندرية ، 1992، ص261.

[2] – المرجع نفسه، ص261.

"لا يترك نظام دولة أفلاطون مساحة لقيام حرية الفعل البشري لمواطني هذه الدولة حيث ينادي أفلاطون في "الجمهورية" و"القوانين" من بعدها على شيوعية النساء والأطفال، والملكية الخاصة بين أفراد الطبقة الحارسة من مدينته المثالية، ويؤكد على ضرورة أن يعيش ويعمل ويتصرف الجميع في كل حركاتهم وفقا لروح الجماعة."[1] سعى أفلاطون على تطبيق نظام في دولته تكون كامل المسؤولية للحكام بحيث تتدخل هذه الأخيرة في كافة الأمور من أكبرها إلى أصغرها، وكل فعل يقوم به المواطن في هذه الدولة هو تكريس لخدمة هذا الحكم.

حيث تختار الدولة للفرد ما يناسبه من النساء، وتأمره بالزواج منها وفي وقت معين، كما تتدخل في تحديد طبيعة الأطفال، فإن رأت في بعضهم عيوبا خلقية تخلصت منهم دون أسف منها،.. فهي التي تعد البرنامج التربوي الذي يصلح لأفراد كل طبقة، وتقوم بدور الانتخاب التعليمي، وينادي أيضا بضرورة أن تسيطر الدولة على النشر ووسائل تكوين الرأي العام وأخلاق الأفراد،..وفي أمور العبادة والدين لا يسمح أفلاطون بأي درجة من الحرية الدينية فلا يجوز لأي أحد الخروج على الدين الرسمي للدولة.[2] نفهم من خلال ما قدمه في تفسيره لنظام دولته أنه كان نظام شمولي يتدخل في كل صغيرة وكبيرة سواء في الحياة السياسية أو الاجتماعية أو التربوية، ولا مجال لرأي الأفراد ولا لحريتهم، إذ لم تكن هذه الأخيرة لجميع مواطنين الدولة ولكن خصصها للطبقة الحاكمة فلم ينظر للفرد وإنما لدولة ككل.

---

[1]– مراد ، محمود: الحرية في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، دط ، الأسكندرية ، 1999 ،ص185.

[2] – المرجع نفسه، ص186.

وبتقسيم أفلاطون لطبقات المجتمع يقسم بدوره النفس البشرية إلى (**القوة الشهوانية والقوة الغضبية والقوة العاقلة)** فلن تتحقق سعادة الإنسان في هذه الحياة إلا عندما يسود الجزء العاقل للإنسان، فهو الذي يحدث ذلك التوازن لنفوس البشرية بين جميع رغباته، إذ بين في هذا الصدد أن "الحر هو ذلك الذي يطيع هدى عقله وحده أما غير الحر فهو الذي يضعف أمام نداء الشهوة أو روح الغضبية فيصير عبدا الشهوانية."[1] وهو ما يزيد المعنى تأكيدا أن الحرية الإنسانية تتجلى عند أفلاطون في سيطرة العقل على الأفعال لأنه إذا لم تكن هذه الملكة فإنه يصبح الفرد خاضعا لسلطة رغباته ودوافعه.

لم تكن الحرية في فلسفة أفلاطون السياسية بارزة بالمعنى الحرفي إذ اقتصرها في دولته على خضوع الفرد ضمن نظام جماعي أعلى وأسمى وهي الطبقة الحاكمة، أما غالبية الشعب فقد جعلهم في دولته أدوات مساعدة لهذا الحكم، أما الناظر لتقسيمه للنفس الإنسانية فإننا نجد أنه تكلم عن الحرية الإنسانية ولكن بشكل نسبي حيث جعل من العقل وسيلة ليتحرر الفرد من الشر ويتجه نحو فضيلة الخير.

II. أرسطو aristo: (384- 322 ق. م)

يقوم الفكر السياسي عند أرسطو من نموذجا واقعيا وهذا من خلال دراسة الحياة الاجتماعية والسياسية بعيدا عن مثالية أفلاطون، إذ جعل من الدولة المكان الذي يعرف الإنسان ماهيته، ويمارس حريته فيها فهي التي تؤمن العيش لأفرادها وتخلق لهم حياة سعيدة

---

[1] – مراد ، محمود: الحرية في الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص177.

ذلك لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده وليس بإمكانه تأمين ضروريات الحياة، حيث يقول: أرسطو"إن الإنسان بطبيعته هو حيوان سياسي."[1] أي أن العيش في الجماعة هو أفضل طريقة بالنسبة للفرد والمدينة هي التي تجعله يمارس كل أفعاله ضمنها ويميز بين الخير والشر والعدل والظلم.

"فكل دولة مجتمع وأن كل مجتمع يتألف ابتغاء مصلحة إذ الجميع يجدون في كل شيء إلا ما يبدو لهم خيرا من الواضح أن كل المجتمعات ترمي خيرا، وأن أخطرها شأنا والحاوي ما دونه يسعى إلى أفضل الخيرات، وهذا المجتمع هو المسمى دولة أو مجتمعا مدنيا."[2] نلتمس من خلال هذا القول أن أرسطو أعتبر أن الغاية من التجمعات هو الوصول إلى الخير والفضيلة والذي يكون في الدولة فقط، فهي الوحيدة التي تسعى إلى تجسيد الحياة الخيرة.

حيث يقول أرسطو "**إن الطبع إذن يدفع الناس بغرائزهم إلى الاجتماع السياسي ..فالعدل ضرورة اجتماعية، لأن الحق هو قاعدة الاجتماع السياسي وتقرير العادل هو ذلك الذي يرتبه الحق**".[3] تكون مهمة الدولة هنا إذا عند أرسطو هي فرض سياسة عادلة مبنية على القانون، مع تعليم الفرد حب الفضيلة فهذه القوانين هي التي تجعل من الفرد حرا ولكن في نفس الوقت لا يتعدى على غيره ولا يظلم أحدا.

---

[1] – غوش ، ريمون: الفلسفة السياسية في العهد السقراطي، دار الساقي ، ط1 ، بيروت، لبنان، 2008، ص143.

[2] –النقاطي، حاتم: مفهوم المدينة في كتاب السياسة لأرسطو، دار الحوار لنشر والتوزيع ،ط1 ، سورية ،1995، ص22.

[3] – أرسطو، طاليس : السياسة ، تر: أحمد لطفي السيد ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع ، دط ، 1948 ، ص97.

فلم " ينظر أرسطو إلى الدولة المثالية على أنها بناءا شمولي تذوب فيه تماما فردية الإنسان وحريته كما يفعل أستاذه بل يعتبرها بناءا طبيعي تكون علاقة المواطنين داخله علاقة أناس أحرار متساوين في كافة الحقوق والواجبات."[1] وهو ما يبين أن فلسفته كانت تؤمن بقيمة الفرد على غرار أفلاطون فاعتبر أن المواطن حرا في دولته وحرا في أن يعبر على ما يشاء من أفكار و أراء، وأيضا في التمتع بجميع حقوقه السياسية بعيدا عن تدخل الدولة في شؤون حياتهم وهذا النظام الذي يكون في الدولة هو الذي يحقق السعادة.

يشير أرسطو أن الحكم الذي يحقق السعادة والخير والعدل وأهم شيء يبرز قيمة الفرد ويجعله حرا هو الحكم الدستوري الذي، " يستهدف الصالح العام أو صالح الجمهور وبذلك يتميز عن الحكم الطائفي، أو الحكم الاستبدادي اللذان يستهدفان صالح طبقة واحدة أو صالح فرد واحد."[2] وحسب أرسطو تكون الحكومات صالحة إذا كانت تستهدف الأغلبية في المجتمع وتحقق الخير للعامة، أما الحكومات الأخرى الغير صالحة فهي التي تعمل على التمييز بين فئة عن أخرى وبالتالي تخلق نوع من الاستبداد والظلم وهو نظام فاسد.

يقر في عرضه للأشكال المختلفة للحكومات أن "الديمقراطية" هي مدينة الحرية وهي التي من شأنها أن توفر الحرية لجميع مواطنيها، فهو نظام تحكم فيه الأغلبية عن طريق دستور يضبط الحقوق والواجبات، ففي هذه الحكومة الحق السياسي هو حق المساواة، لا على أساس الأهلية بل حسب العدد، لأنه إنما يصدر عن هذا المبدأ أن جميع المواطنين

[1] – محمود، مراد : الحرية في الفلسفة اليونانية ، مرجع سبق ذكره ، ص348.

[2] – سباين ، جورج : تطور الفكر السياسي، مرجع سبق ذكره ، ص 153.

يجب أن يكونوا سواءا..،إن الحرية في الديمقراطية هي الرخصة لكل واحد أن يعيش وفقا لهواه.. إنه يلزم الاحتراس من خلق أي وظيفة لمدى الحياة..،إن الحرية في ظل الديمقراطية ليست مطلقة ولا تسير حسب استسلام المواطنين لأهوائهم، بل ينبغي أن تكون هذه الحرية مقيدة بالأخلاق الفاضلة.[1] وبهذا المعنى تكون الحكومة الديمقراطية عند أرسطو هي الأمثل وهي الأقل فسادا بين الحكومات، والأكثر استقرارا وتوازنا اجتماعيا، هي التي توفر المساواة والحرية لمواطنيها، حيث الحكم للشعب، وهو النظام الذي يدافع على قيمة الفرد وبصورة أعمق هو الذي يخدم مصلحة الجميع في الدولة وليس طبقة عن أخرى كما هو موجود في الأنظمة السياسية الأخرى.

2. الحرية في العصور الوسطى:

كانت الحرية في الفكر اليوناني تذوب داخل الدولة إذ كان المواطن يخضع لها خضوعا مدنيا واجتماعيا، فاقدا لجميع حقوقه الشخصية، إلا أنه في العصر الوسيط ومع ظهور الديانات المسيحية التي أثرت وبشكل كبير على مسار الفكر السياسي آنذاك فقد اتخذت الحرية منعرجا آخرا حيث كان لها الدور في تحرير الفرد من الخضوع التام لسلطان الدولة، وبدأ الاهتمام بالإرادة الحرة للفرد ومصيره وقيمته، وجعل كل المواطنين متساوين أمام الله وخير ممثل لهذا الفكر هو القديس أوغسطين.

---

[1] – النشار، مصطفى: الحرية والديمقراطية والمواطنة قراءة في فلسفة أرسطو السياسية، الدار المصرية السعودية، ط1 ، القاهرة ، 2009، ص ص51-52-53.

أ. **الحرية في الفلسفة المسيحية:**

القديس أوغسطين: (354 – 430):

يعد القديس أوغسطين المرجع الحقيقي للفكر السياسي المسيحي رغم أن فكره كان دينيا بالدرجة الأولى إلا أنه كان من" الذين عبروا عن العلاقة بين الكنيسة والدولة في إطار من ازدواج السلطتين وقد جاءت آراؤه مدعمة لأولوية سلطة الكنيسة."[1] بهذا المعنى نجد أن أوغسطين " لم يعالج الأمور السياسية بطريقة مباشرة ولكنها جاءت ضمنية نتيجة اهتمامه بمعالجة الأمور الروحية في عالم دنيوي، فقد أوضح أن الكنيسة المسيحية ليست إلا منظمة غايتها تحقيق الوحدة بين جميع المؤمنين في عالم هم أقرب إلى أن يكونوا مواطنين في مدينة الله."[2] كانت رؤية أوغسطين إيمانية حيث جعل من الكنيسة هي المدينة التي تعبر عن وجود الله، فهي الملجأ لكل مواطن، فالله هو خالق كل هذه المخلوقات ولا يوجد تفريق بين كل المؤمنين.

"ميز أوغسطين بين صنفين من البشر يفترض أنهم يقطنون نوعين من المدن، الصنف الأول هو أولئك الذين يغلب عليهم حب الذات فيمارسون الشهوات الحسية ويتبعون الشيطان في جريهم وراء تلبية مطالبهم، وهؤلاء هم الذين يشكلون ما يسميه المدينة الأرضية أما الصنف الثاني فهم أولئك الذين تغلب عليهم حب الله لدرجة إهمالهم ذواتهم وقطع علاقتهم

[1] –توفيق مجاهد، حورية: الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مكتبة 485، ط 7، القاهرة، 2019، ص 167.

[2] – المرجع نفسه، ص 170.

مع الشهوات الدنيوية والملذات ، وهؤلاء مواطنو المدينة السماوية."[1] فهذا التصنيف الذي تشكلت منه فلسفة أوغسطين كان من أجل توضيح أن الفرد الذي ينتمي إلى عالم الأرض هو الذي تسيطر عليه غرائزه وشهواته، وهذا لأنه بعيد عن الكنيسة وعن الخير الإلهي.

ولكي يصل "الإنسان إلى الخير يجب أن يتجه بإرادته الحرة نحو الخير المطلق وأن يسعى إلى تحقيق الخير في حياته وفي العالم ولن يكون ذلك ممكنا إلا إذا كان حرا."[2] هنا يعطي أوغسطين أولوية كبيرة للحرية ويربطها بإرادة الإنسان إذ يعرفها أنها القدرة على الاختيار أو الرفض وبالتالي تأخذ الحرية منعرجا آخرا مع أوغسطين إذ أنها، "نابعة من باعث داخلي يعبر من خلالها عن ما يريده هو، كما تصبح قدرته على التحكم كل ذات بأفعالها، عبر إرجاعها إلى الإرادة الداخلية لهذه الذات التي تستطيع أن تثبت أو تنفي من دون أن تكون خاضعة لغير سلطانها."[3] فيكون هنا الإنسان مسؤول عن كل فعل يقوم به لأنه هو من إختار هذا الفعل تحت إرادة الحرية، فيكون "الإنسان أحيانا يترك هذه الغاية ويتجه نحو ملذات الدنيا ومن هنا ينتج الشر."[4] وهذا ما يؤكد أن الحرية ليست الاختيار بين الشر و الخير لأن الإنسان عندما يتجه نحو الشر فهو دليل على نقص في التفكير ليس دليل على حريته، فيكون موقف أوغسطين واضحا من خلال تأكيده، أن الخلاص من هذه

---

[1] – النشار، مصطفى: تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، القاهرة، 1991،ص ص 184-189.

[2] –عويضة ، كامل محمد محمد: أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت ، لبنان، 1993، ص40.

[3] – الشادلي ، المصطفى: حنة أرندت ونقد التصور الفلسفي للحرية ، مرجع سبق ذكره ، ص 34.

[4]– عويضة ، كامل محمد محمد: أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، مرجع سبق ذكره، ص41.

الشرور أو الخطيئة هو التوجه إلى طريق الله واعتناق المسيحية، فهي التي تحرر الفرد من كل الرذائل والخطايا الدنيوية.

إلا أن "النعمة الإلهية ليست ملاشية للحرية وإنما هي معونة لفعل الخير وليست سبق علم الله بالأفعال، حجة ضد الحرية فإن توقع الفعل الحر، لا يرفع عنه صفة الحرية إن الله يتوقع الفعل وإذن سيكون الفعل، والله يتوقع الفعل حرا صادرا عن ميل الإرادة باختيارها، وإذن سيكون الفعل حرا مختارا إن الله هو الخير بالذات ولا يوجد المخلوق إلا للخير والخير هو المطلوب ولأجل هذا أعطانا الله العقل نعلم به الخير وأعطانا المحبة نميل بها إلى الخير المعلوم والعقل والمحبة مبدأ الحرية وكلما طاوعنا هدى العقل وتحررنا من الشر ازدادت الإرادة الحرة."[1] فالشاهد من كل هذا أن القديس أوغسطين جعل من مبدأ الحرية ملازمة للإرادة فعندما تكون هذه الأخيرة حرة تكون ملازمة للفعل الخير، الذي مصدره الله فهو الخير المطلق الذي بواسطته نتحرر من فعل الشر فكلما اقتربنا من الله فإننا نزداد حرية.

ب. الحرية في الفكر الإسلامي:

كانت تنظر الفلسفة الإسلامية لكافة الأمور نظرة وسطية تقوم على الاعتدال وتجعل من العدل أساس للحكم والدولة ، ومن الحرية والمساواة هدفا للعدل وأرست نظرة شاملة للإنسان حيث جعل الإسلام الناس متساوين في كافة الأمور، رغم اختلافهم في أصولهم

[1] – كرم ، يوسف: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مؤسسة هنداوي ، دط ، القاهرة ، 2012 ، ص41.

ومراكزهم الاجتماعية ومسؤولياتهم السياسية، فجعل القرآن الكريم مبدأ "**لا إكراه في الدين**"[1] ليؤكد على الحرية في جميع أشكالها بعيدا عن العبودية و الرق.

أبي نصر الفارابي:(206 هـ- 874م) (339هـ - 950م).

لا يوجد اختلاف بين اثنين على مكانة الفارابي الفلسفية إذ يعد من كبار الفلاسفة الذين حاولوا إقامة فلسفة توفيقية بين الفكر السياسي القديم وبين ما جاء به الإسلام إلا أن نظرته لم تكن مختلفة عما جاء به أفلاطون وأرسطو فقد قام بتأليف العديد من الكتب أمثال "أراء أهل المدينة الفاضلة"، و"المدينة السياسية" وغيرها فحاول من خلالها بسط الاجتماع الأمثل للبشر من أجل تحقيق السعادة والعدل والحياة الصالحة ، حيث يقول في هذا الصدد: كل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه وفي أن يبلغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد بهذا الحال... ولهذا كثرت أشخاص الناس فحصلوا في المعمورة من الأرض فحدثت منها الاجتماعات الإنسانية.[2] نلتمس من قول الفارابي أنه يعتبر الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع أن يعيش في عزلة على أفراد مجتمعه فالاجتماع الذي يكون بين هؤلاء الأفراد غايته فقط الوصول إلى ما يسعى إليه الفارابي وهي السعادة وهذه الأخيرة هي "**الخير على الإطلاق وكل ما ينفع في أن تبلغ به السعادة، وتنال به فهو أيضا خيرا لا لأجل ذاته لكن لأجل نفعه في السعادة وكل**

[1] – سورة البقرة ،من القرآن الكريم الآية 256.

[2] – وافي ،علي عبد الواحد: المدينة الفاضلة للفارابي ، نهضة مصر لطباعة والنشر والتوزيع ، دط ، القاهرة ، ص13.

ما عاق عن السعادة بوجه ما فهو الشر على الإطلاق."[1] ومن هذا المنطلق يبين الفارابي أنه لكي نصل إلى الخير الذي هو السعادة فيجب أن نقتدي بمبدأ الإرادة التي يشترط أن تكون حرة، فالإنسان هو الذي يحدد أفعاله وهو المسؤول عنها.

إذ "أن الإنسان مخير فهو قادرا على أن يبلغ كماله ويصل للسعادة القصوى كما أنه في نفس الوقت قادرا على إتباع الشر، فينتهي في النهاية للجحيم الدائم، فالإنسان يتميز بالعقل والقدرة على الاختيار الذي يستطيع به أن يسعى نحو السعادة وأن لا يسعى به بقدر على أن يفعل الخير وأن يفعل الشر والجميل والقبيح".[2] وهذا ما يدل على أن الإنسان حرا في اختياراته وهو المسؤول عن هذه الأفعال، فإذا كان العقل هو من يقود هذه الأفعال فإنه يصل إلى الخير الذي يحقق له لذة السعادة، ولكن إذا ترك رغباته وشهواته تقوده فإنه يصل في الأخير إلى مطاف الفشل.

3. الحرية في الفلسفة الحديثة:

كانت تتميز الفلسفة الحديثة بالتطور والنهضة في جميع المجالات سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو الدينية، حيث عملت هذه الفلسفة على إلغاء سلطة الكنيسة وإعادة مكانة العقل محل الدين الذي كان سبب في فقدان الإنسان لحريته في الحقبة الزمنية الوسطى فلم يعد الفرد خاضعا لعبودية المفارق لوجوده ولم تعد حريته وإرادته، امتدادا له،

[1] – الفارابي، أبي نصر: كتاب السياسة المدنية ، تقديم علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1996، ص79.

[2] – توفيق مجاهد، حورية: الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مرجع سبق ذكره ،ص222.

وتجسيدا له، وإنما أصبح الاهتمام بالحرية من منطلق أنها خاصية إنسانية وخير ممثل لهذا الفيلسوف ديكارت والفيلسوف جون لوك.

I. روني ديكارت:Descartes Rêne *(1596-1650)

إن للفيلسوف العقلاني ديكارت الفضل الكبير في إرجاع حرية الإنسان هذه الحرية التي لولاها لما كانت لتكون نهضة أوربية، ولا انقلاب على تلك المفاهيم والمناهج التي كانت سائدة حيث كانت لدى ديكارت واقعة من خلال مواجهة كل ما كان سائدا عبر التفكير النقدي الحر وتحطيم كل القيود وإزالة العوائق التي قد تمنع نمو وتقدم الإنسان، حيث تبدأ فلسفته من الشك إلى اليقين لهذا، "على الإنسان حين يبحث في المسائل العلمية أو الفلسفية أن يتحرر من كل سلطة إلا سلطة العقل."[1] وهذا ما يعبر على الثورة الديكارتية التي تمجد سلطان العقل وتسعى لتتحر من القيم والأفكار السابقة الراسخة في الأذهان وخير دليل على هذه الفكرة هو الكوجيطو الديكارتي"**أنا أشك إذن فأنا أفكر إذن أنا موجود**" كان يقوم بالأساس على فكرة الحرية كمبدأ يرتكز عليه الفكر من أجل بناء الحقيقة والتي تسعى إلى إثبات الوجود فيشرح ديكارت لفظة "**أنا**" في قوله: "**إذن أي شيء أنا أنا شيء يفكر، وما هو الشيء الذي يفكر؟ هو شيء يشك، ويدرك، ويتذهن ،ويثبت ، وينفي،**

---

[1] –النشار، مصطفى: فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء للطباعة والنشر، ط3، القاهرة، 1998، ص237.

* **رونيه ديكارت:** فيلسوف محدث وعالم رياضي درس في لافليش تلقى مبادئ الإيمان والتاريخ أنظر: طرابيشي، جورج: معجم الفلاسفة ، مرجع سبق ذكره ، ص298.

ويريد، ويرفض، ويتخيل أيضا".[1] فالشاهد من هذا القول أن ديكارت يبين بأن لفظة **أنا** ليست لفظة عادية ، وإنما هي تعبير عن حقيقة الذات في ذاتها، وهي تلك الذات التي أصبحت حرة تشك في كل تلك الأفكار والمعتقدات السابقة، وتحاول أن تتجاوزها، تلك الذات التي أصبحت تعرف نفسها بنفسها، فالتأمل في عبارة ديكارت **أنا أفكر** يشير أن لفظة **أنا** عندما تتحقق فإنه بدوره يتحقق التفكير الذي يشترط أن يكون فيه الحرية فهذه الأخيرة لا تفكير بدونها.

تتجلى الحرية أيضا عند ديكارت في قواعده التي قدمها من خلال **قاعدة اليقين** التي يبين فيها "**ألا أقبل شيئا على أنه حق ما لم أعرف أنه يقينا**".[2] وهي القاعدة التي يؤكد فيها أنه لا يمكن القبول بشيء إلا إذا كان بديهيا وواضحا أي يكون معناه متضمن في ذاته فتكون الحرية هنا ملازمة للفكر من أجل تحريره من تلك الأوهام والخرافات السابقة، فيقول في هذا الصدد "**قررت أن أحرر نفسي جديا، مرة في حياتي من جميع الآراء التي آمنت بها قبلا وأن أبتدئ من أسس جديدة**" .[3] **وقاعدة التحليل** التي تعرف على أنه "**يجب أن تقسم المعضلة التي تدرس إلى أجزاء بسيطة على قدر ما تدعوا إليه الحاجة**".[4] فيكون العقل هو الوحيد الذي يستطيع أن يحلل ويفكك الأشياء للوصول إلى أبسطها ولا يكون هذا إلا بحرية التفكير التي تسمح للعقل بأن يبدع ويفكر ويحلل وفقا لما تقتضيه الضرورة، كان

---

[1] – رونيه ، ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ، تر، الحاج كمال ، منشورات عويدات ، ط4 ، بيروت، باريس، 1988، ص25.

[2] – رونيه ، ديكارت: مقال عن المنهج ، تر، الخظيري ، محمود محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3 ، 1985، ص142.

[3] – رونيه ، ديكارت : تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى ، تر: الحاج كمال، مصدر سبق ذكره ، ص 13.

[4] –رونيه ، ديكارت: مقال عن المنهج ، تر: الخظيري ، محمود محمد، مصدر سبق ذكره ، ص143.

ديكارت يسعى من خلال الحرية إلى جعل الفرد قادرا على الاختيار والفعل من خلال تجاوز كل الأوهام والمعتقدات ومن خلال تبنيه فكر عقلاني يؤمن بوجود الوعي الكامل للحرية.

II. جون لوك: John Locke*(1632-1704).

يعد الفيلسوف جون لوك من أهم الفلاسفة الذين دافعوا عن حرية الإنسان وهذا نتيجة لما كانت تعيشه أوروبا في ذلك الوقت، فلم تكن " أهمية لوك مقصورة فقط على ميدان الفلسفة بل تعدته وانتقلت بطريقة طبيعية تطبيقية إلى ميدان السياسة والتنظيم الاجتماعي فحركة التحرير الكبرى التي سادت أووربا في القرن الثامن عشر لم تكن سوى امتداد طبيعي لفلسفة لوك."[1] التي كانت "تقوم على احترام القيم الإنسانية والحرية الفردية سواء في الدين أو الفكر أو السياسة، وتنادي بتحرير الفرد الذي كان قد انطمست شخصيته في ضل استبداد الكنيسة."[2] وهو ما يعنى أن فلسفته كان لها تأثير كبير على مجريات الأحداث في أوروبا، فكانت من أهم الأشياء التي تسعى إليها هو إرجاع قيمة الفرد والدفاع عن حقوقه والدعوة إلى تحريره من سلطان الدين.

[1] – عبد المعطي، فاروق: جون لوك ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت لبنان ، 1993 ، ص ص 13- 14.

جون لوك (1632- 1704) : فيلسوف إنجليزي درس في جامعة إكسفورد درس كل من الأدب والفلسفة ثم الطب، كان عضوا في جمعية لندن الملكية، أصبح بعد ذلك وزيرا، من مؤلفاته محاولة في الفهم البشري، ورسالة في التسامح، وفي الحكم المدني، أنظر: طرابيشي جورج، معجم الفلاسفة، مرجع سبق ذكره، ص598.

[2] – عبد المعطي ، فاروق: جون لوك ، مرجع سبق ذكره، ص 14.

كانت جل كتابات هذا الفيلسوف تعبر على ذلك حيث كتب "رسالتان في الحكومة" كان الهدف منها تبرير النظام السياسي فالرسالة الأولى عن الحكومة ينقد فيها توماس هوبز الذي كان "**يحصر أشكال الحكم في الملكية المطلقة التي تنبني عنده على هذا الأساس ما من إنسان يولد حر**".[1] وبهذا المعنى يكون جون لوك رافضا للحكم المطلق الذي يمجده *توماس هوبز Thomas Hobbes 1588–1679 فهذا النظام عمل على تجريد البشر من التمتع بحريتهم الطبيعية، فالسلطة تكون لملك واحد هذا الأخير له "الحق في حكم رعاياه حكما مطلق استبدادي طبقا لمبدأ الحق المقدس للملوك لذلك يجب طاعته وله الحق في وضع القوانين التي تتراءى له والتي يسير الشعب بمقتضاه دون معارضة، لأنه من المستحيل أن يضع الشعب بنفسه قانونا يقيد حريته، وأن الدولة التي يحكمها الملك ليست سوى امتداد طبيعي للأسرة الحاكمة التي يفوضها الإله لتولي الحكم لذلك يجب أن يخضع الشعب خضوع أبناء الأسرة لحاكمها الأكبر."[2] كان الحكم المطلق الذي يؤيده هوبز يعتمد على الملك الذي لديه كافة الحقوق لتولي السلطة ويكون ذلك عن طريق الحق الإلهي الذي يكون بالوراثة لا يخرج من الأسرة الحاكمة، وعلى الشعب الخضوع والطاعة فلا وجود لحريته.

---

[1] – لوك ، جون: في الحكم المدني ، تر: فخري ماجد ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع ، (دط) ، بيروت ، 1959 ، ص06.

* **توماس هوبز**: فيلسوف إنجليزي درس في أكسفورد كان مدافع للحكم المطلق وصاحب نظرية العقد الاجتماعي أنظر: طرابيشي، جورج: معجم الفلاسفة ، مرجع سبق ذكره ، ص 708.

[2] – إبراهيم ، مصطفى: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، (دط) ، الإسكندرية ، 2001، ص 282.

عارض لوك أيضا هوبز في وضعه للحالة الطبيعية التي أكد فيها أن الإنسان كان يعيش حالة صراع وفوضى وحرب الكل ضد الكل، على غرار لوك الذي أعتبر أن هذه الحالة هي التي كان يعيش فيها وينعم بالحرية والمساواة إذ كان يتمتع بمجموعة من الحقوق،" كحق الحياة أو المحافظة عليها وحق الملكية وتعني الحرية التي يتمتع بها الناس وجود قاعدة دائمة يعيش الناس في كنفها ويألفها كل فرد في المجتمع تضعها سلطة تشريعية منتخبة وألا تفرض على إرادة خارجية منقلبة ومجهولة."[1] وهو ما يعني أن لوك أعتبر أن أفضل حالات التي كان يعيشها الإنسان هي الحالة الأولى، لأن هذه الأخيرة تمنح للإنسان التمتع بكافة حقوقه وحرياته.

"**ولكي ندرك طبيعة السلطة السياسية إدراكا صحيحا ونستنبطها من مصدرها الأصلي ينبغي لنا أن نفحص عن الوضع الطبيعي الذي نجد البشر عليه وهو وضع من الحرية التامة في القيام بأعمالهم والتصرف بأملاكهم وبذواتهم كما يرتؤون ضمن إطار سنة الطبيعة وحدها ودون أن يحتاجوا إلى إذن أحد أو يتقيد بمشيئة أي إنسان وهو وضع من المساواة أيضا حيث تتكافؤ السلطة والسيادة كل التكافؤ**".[2] وهو ما يعني أن الحياة التي كان يعيشها الإنسان في المرحلة الطبيعية الأولى كانت حرية تامة، إذ يتمتع الإنسان بجميع حقوقه، حيث يكون الكل متساوين وأحرار وهذه المبادئ يجب أن تكون في المجتمع المدني عن طريق العودة لهذا الوضع الأصلي.

---

[1] – إبراهيم ، مصطفى ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، مرجع سبق ذكره ، ص282.

[2] – لوك ، جون ، في الحكم المدني ، تر: فخري ماجد، مصدر سبق ذكره ، ص 139.

"بدأ الصراع ينشب بين الناس عندما تم تحديد ملكيات خاصة بهم مما جعل حق الملكية الطبيعي الذي وهبته الفطرة الأولى للإنسان يتحول إلى رأس حرية في صدر كل إنسان ليتحول معه مجتمع الطبيعة الآمن إلى مجتمع حرب وعداوة لا تنتهي."[1] ظهرت هذه الصراعات بعد تقسيم الملكيات فأصبح كل مواطن يطالب بحقه ويبحث فقط على ما يرضيه ويرضي غايته.

وضع جون لوك فكرة الانتقال من حالة الطبيعة إلى الحالة المدنية وهي ما تسمى بالعقد الاجتماعي "وهو تعاقد الأفراد فيما بينهم حيث كونوا مجتمعا سياسيا يتنازل الأفراد فيه عن بعض حقوقهم الطبيعية في سبيل إقامة مجتمع يحمي ويصون الحقوق والحريات، على أن يقوم الحاكم بتأدية واجبه تجاه من يحكمهم ."[2] يدل هذا الكلام أن العقد ما هو إلا اتفاق يقوم على التراضي بين الناس حيث يتنازلون عن بعض حقوقهم وهذا من أجل العيش في ضل مجتمع سياسي آمن، إضافة إلى حماية جميع أملاكهم والمحافظة على الحقوق الطبيعية ، بشرط أن يقوم الحاكم بمهامه الكاملة لتوفير هذا الأمن ، يريد لوك من خلال هذا أن تكون السلطة في يد الشعب وليست في يد واحدة وإلا سوف يخلق نظام استبدادي قائم على *الديكتاتورية.

[1] – إبراهيم ، مصطفى : الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، مرجع سبق ذكره ، ص 282.

[2] – محمد إسماعيل، فضل الله: نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ، مكتبة بستان المعرفة، دط ، الإسكندرية، 2005، ص73.

* **الديكتاتورية:** حكومة الفرد والسلطة ، والديكتاتور له كاريزما خاصة ومجرد ظهوره يقنع الآخرين ويشدهم إليه فيخضعون له ويأتمرون بأمره. أنظر: الحنفي ، عبد المنعم: المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفة ، مكتبة دبولى ، ط3 ، القاهرة، 2000، ص356 .

يبين لوك أنه لا يمكن للأفراد التخلي عن حقوقهم في أي حال من الأحوال فالناس يتنازلون فقط للمجتمع وليس للحاكم، ويضل القدر الباقي من حقوقهم الطبيعية مكفولا داخل المجتمع السياسي و يحد من حرية السلطان، فلا مجال للسلطة المطلقة لأن السيادة للشعب وحده.[1] تظهر صورة الحرية عند لوك في رفضه لتخلي الفرد عن حقوقهم الطبيعية داخل المجتمع السياسي و إرجاع الأولوية للشعب في السيادة وإلغاء حكم السلطان.

نادى لوك بضرورة فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية لأنه " إنه لمن واجب الحاكم المدني تنظيم شؤون الناس في الحرية والملكية والحياة (في الصحة، والأرض، والمال، والسكن ووسائل الترفيه وما شابه ذلك) فهذه الأمور تختص بها سلطة الدولة والقوانين ولا دخل للدين أو الإيمان فيها."[2] فالشاهد من هذا أن لوك يبين أن الدين هو أمر يخص الإنسان فهذا الأخير له الحرية بأن يعتنق أي دين ولا دخل للدولة وخير دليل على هذا دفاعه عن الحرية ونبذ مظاهر التسلط والاضطهاد "**رسالته في التسامح 1689** حيث كانت موجهة إلى الحاكم بضرورة نشر التسامح ورفض كل أشكال التعصب.

حيث يقول في هذا الصدد "**إنك تشعر بالغبطة لأنك تتساءل عن أفكاري الخاصة بالتسامح المتبادل بين المسيحيين المختلفين في مللهم فأنا من أجل ذلك أجيبك بلا تحفظ وهو أنني أنظر إلى التسامح على أنه العلامة المميزة للكنيسة الحقة**".[3] إن دعوة لوك

[1] – محمد إسماعيل، فضل الله: رواد الفكر السياسي الغربي الحديث، مكتبة بستان المعرفة، ط1، الإسكندرية، 2005، ص 31.

[2] – إبراهيم ، مصطفى : الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 285– 286.

[3] – لوك ، جون: رسالة في التسامح، تر: منى أبو سنة، المجلس الأعلى لثقافة ، ط1 ، الإسكندرية ، 1997 ، ص19.

لفصل الدين عن السياسة من أجل تأكيده أن الدين هو حرية شخصية يتمتع بها الإنسان، وأن التسامح هو الأساس الذي تقوم عليه الكنيسة، وليس من أجل جعله سلطة لممارسة التسلط بين الشعب.

إن "**الكنيسة مجتمع حر ذو إرادة فلا أحد يولد عضو في أي كنيسة**".[1] كان لوك مدافع عن الحرية الإنسانية في مختلفها سواء السياسية أو الدينية، وبذلك تربع في الساحة الفلسفية حيث كان له التأثير على الكثير من الفلاسفة.

خاتمة:

كخاتمة للفصل نقول أن الدلالة اللغوية والإصلاحية لمفهوم الحرية شهدت اختلافا كبيرا في الرؤى إلا أن ذلك لم يمنع من إبراز المكانة المهمة لهذا المفهوم بالنسبة للإنسان والمجتمع، وطبعا لا يكتمل الموضوع أهمية من دون العودة إلى النقاشات التاريخية التي ساهمت بدورها في بلورت هذا المفهوم كونها مرجع للفلسفات القادمة، وهذا ما شهدناه في الحضارة اليونانية في تقديسها للدولة والعدالة والحرية، حيث انطلقت هذه الأخيرة من المجتمع المنظم الخاضع للدستور والقانون، بعد ذلك استعنت بالحضارة المسيحية التي رأت في الحرية طابع أخر يحرر الإنسان من سلطة الدولة والخضوع التام لها، ويمنع امتياز فرد على فرد، إذ أصبح للدين دور في إعطاء قيمة الفرد وهذا مع القديس أوغسطين، ليكون الإسلام مرجع وسطي يمجد الحرية وهذا مع رؤية الفارابي في أن الإنسان حر في جميع إختيارته ، ليشهد هذا المفهوم تطورا كبير في العصر الحديث في تحرير الإنسان من سلطة الكنيسة

[1] – لوك ، جون: رسالة في التسامح، تر: منى أبو سنة، مصدر سبق ذكره، ص 27.

وهذا مع فلاسفته، ليكون بوابة نفهم من خلاله كيف انطلق التفكير الذي ساد عصر الأنوار؟ وكيف كانت فلسفة أحد أعمدة هذا العصر جان جاك روسو؟.

الفصل الثاني: فلسفة الحرية عند جان جاك روسو

المبحث الأول: التأصيل الفلسفي للحرية

1: الأوضاع السائدة في فرنسا في القرن 18

2: تأثر جان جاك روسو بأوضاع فرنسا القرن 18

المبحث الثاني: الحرية عند جان جاك روسو

1: الحالة الطبيعية

2: الحالة الاجتماعية وبداية ظهور الصراع

3: الحرية كأساس في العقد الاجتماعي

المبحث الثالث: آليات الدفاع على الحرية عند روسو

1: سيادة الشعب

2: الإرادة العامة

3: القانون

مدخل:

يعد القرن الثامن عشر مرحلة هامة في تاريخ أوروبا لما حمله من أفكار فلسفية وسياسية وثقافية، غيرت في المجتمع والدولة في أوربا عامة، وفي فرنسا على وجه الخصوص، ويعود الفضل هنا للأعمال الضخمة التي أثمرت عن المفكرين والسياسيين والاجتماعيين في فرنسا ومنهم الفيلسوف المتميز جان جاك روسو إذ يعد ابن عصره بكل ما تحمل الكلمة من معنى، لأنه كان يعبر عن الإنسان الذي كان جزءا من مسار الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي سادت أوروبا. وهذا ليس لكونه مفكرا فحسب إنما أراد أن يكون مختلفا عن سابقيه حيث أستطاع أن يكون صوت لتلك الشعوب الضعيفة المتعطشة للحرية. حيث تطرقنا في هذا الفصل على الوقوف على تلك الأوضاع المزرية التي سادة فرنسا في القرن الثامن عشر، وتأثر روسو بها حيث جعلته يعزف على وتر الحرية وينادي بها في نظريته العقد الاجتماعي.

المبحث الأول: التأصيل الفلسفي للحرية:

يقتضي دراسة فكرة الحرية عند الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو إلى العودة إلى العصر الذي كان يعيشه فلا يمكن دراسة فلسفة وفكر أي فيلسوف إلى بفهم الأوضاع التي مرت بها حياته، إذ يعد روسو ذاك الفيلسوف الذي حمل شعلة الحرية طوال حياته لأنه كان ثائر على تلك الحالة المزرية التي تعيشها فرنسا في ضل النظام القديم.

1. الأوضاع السائدة في فرنسا في القرن 18 م

أ. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

"كان المجتمع الفرنسي حتى الثورة الفرنسية مجتمعا إقطاعيا أسسه من مخلفات العصور الوسطى، وكانت أهم هذه الأسس هي تكون المجتمع من ثلاث طبقات تسودها علاقات قانونية وفعلية قائمة على فلسفة تقول أن اختلاف الوظائف ينبع من فوارق أصيلة بين البشر، وبالتالي يحتم انعدام المساواة بين البشر، وقد كرست الكنيسة هذه الفلسفة وهذا النظام لأنهما كان يدعمان سلطانها امتيازاتها."[1] وهو ما يعني أن الشعب الفرنسي كان يعيش قبل الثورة تحت نظام إقطاعي يقوم على التميز بين البشر حيث كان ينقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات طبقة الأشراف وطبقة الأكيلوس والطبقة الثالثة هي عامة الشعب.

"فكانت بنية فرنسا النظام القديم الاجتماعية محافظة على طابع أصلها منذ العهد الذي فيه تتشكل فرنسا حوالي القرنين العاشر، والحادي عشر وكانت الأرض تؤلف المصدر الوحيد لثورة فكان الذي يملكونها أسيادا للذين يعملون فيها وهم الأقنان ومنذ ذلك قلبت هذا

---

[1] – عوض، لويس: الثورة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط ، مصر، 1992، ص59.

النظام البدائي تبدلات عديدة فأنتزع الملك من الأسياد الحقوق الملكية ولكنه أبقى لهم امتيازاتهم الاجتماعية والاقتصادية، لقد احتفظوا بالمقام الأول في التسلسل الاجتماعي".[1]

والواضح هنا أن الأمة الفرنسية عاشت أزمة نتيجة لمخلفات النظام القديم، بحيث سيطرت الطبقة الحاكمة على أهم مصدر لثروة في فرنسا وهي الزراعة إذ جل الأراضي كانت من حق هذه الطبقة.

كان عدد النبلاء قبل الثورة الفرنسية 350.000 نبيل وهم بعد طبقة رجال الدين يملكون خمس أراضي فرنسا ومن بينهم 4000 نبيل كانوا نبلاء البلاط يعيشون في بلاط الملك وتحت رعيته وعلى مراتبهم العسكرية، فكانوا يعيشون حياة بذخية يتمتعون بامتيازات مثل حق الإعفاء من الضرائب المفروضة على كافة الناس، وحق جباية بعض الظرائب على الفلاحين.[2] وهو ما يبين أن هذه الطبقة كانت المصدر الأول في فرنسا فكانت تتمتع بكافة الحقوق بحيث سيطرت على نظام البلاد.

أما الطبقة الثانية وهي رجال الدين الذين يقدرون ب130.000 من عدد سكان المدينة كانوا يلقبون أنفسهم بالطبقة الأولى، تمتعوا بامتيازات سياسية وقانونية، وضريبية كانت قوتهم الاقتصادية من تحصيل ضريبة العشور ، حيث كان رجال الدين يملكون العديد من العقارات الكثيرة، أما عن مصاريف الكنيسة فكانت من رسوم تسجيل المواليد، والوفيات، والتعميد وشعائر الدفن.[3] وهو ما يعني بأن هذه الطبقة كانت تتدخل في الحياة اليومية للمواطن

---

[1]- سوبول ، ألبير: تاريخ الثورة الفرنسية، تر: كوس ، جورج، منشورات عويدات ، ط4 ،بيروت لبنان، 1989، ص19.

[2]- عوض، لويس: الثورة الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص ص63 -62.

[3] - المرجع نفسه، ص ص63 -64.

الفرنسي، سواء حياته الشخصية أو العامة، حيث تشكل الركن الأساسي في النظام الاستبدادي الذي كانت تعاني منه فرنسا، وحافظت على هذه المكانة منذ العصور الوسطى، واستغلت طبقة سلطة الدين لغرض الطمع، وجمع المال من الفئة الضعيفة من الشعب.

أما الطبقة الثالثة وهي العامة كانت تمثل أكثرية الأمة الفرنسية وهي تفوق 24 مليون من السكان وهي تضم الفئات الشعبية في الأرياف، والمدن ثم البرجوازية الصغيرة المتوسطة من مهنيين وتجار، مع التنوع الاجتماعي كانت تطمح هذه الطبقة بإلغاء الامتيازات، والمطالبة بالمساواة المدنية.[1] وهو ما يدل أن هذه الطبقة كانت تعاني من الاضطهاد وعدم المساواة نتيجة لما تمارسه الطبقة الغنية من قوة، حيث تشكلت من الفئات الضعيفة في المجتمع وكان لديهم واجبات كثيرة بدون تلقي أي حقوق فكثرت البطالة، والجوع والفقر واتساع نطاق الضرائب حيث كانت، "أكثر تلك الضرائب هولا ووحشية، وحماقة ما كان يعرف "بضريبة الملح"، فبعد عام 1680 كان على كل شخص فوق السابعة أن يشتري 7 باوندات من الملح كل عام، ولكن لم يكن أي شيء منها يستخدم لأي غرض آخر(اللحم المملح على سبيل المثال) عدا غرض الطهي فقط، فإذا كان أحد الفلاحين فجأة قد خطر في باله لحم الخنزير من أجل أن يستخدم كطعام في الشتاء فعليه إذن أن يدفع ثمنا غاليا لذلك الغرض".[2] وهذا دليل على صعوبة المعيشة في فرنسا وما كان يمارس على المواطن

---

[1] – سوبول ، ألبير: تاريخ الثورة الفرنسية، تر: كوسى ، جورج، مرجع سبق ذكره، ص29.

[2] – دولوكج ، تمارا: افتتاحات فلسفة التنوير(دنيس ديدرو)، تر: نبيل، عماد، دار الفارابي، ط1 ، بيروت لبنان، 2013، ص28.

آنذاك من تسلط واستبداد لم يكن له القدرة على معارضة هذه الأساليب فكانت تفرض على أبسط حقوقه.

ب. الأوضاع السياسية:

"بقي المذهب السياسي الرسمي للحكم الاستبدادي الفرنسي في القرن الثامن عشر الذي كان سائد والذي كان يقول بلا محدودية السلطة الملكية المفروضة فيها أنها مستمدة مباشرة من الله. فالسلطة الملك على الأرض توازي من منظور هذه سلطة الله في السماء، وما الملك إلا صورة الله الحية ووكيله على هذه الأرض ولم تكن إرادة الملك تعرف من حدود سوى وعي هذا الأخير لواجبه، أما الفرج أو الرعية فعليه أن يطيع هذه الإرادة."[1] وهو ما يعني أن النظام في فرنسا كان ينطلق من الحكم المطلق الذي ينحدر من سلطة متعالية، فصورة الملك نفسها صورة الله ولا محال لإعتراض الأحكام التي تصدر من هذه السلطة العليا.

حيث "يمنح التكريس الملك صفته الإلهية ويتم عادة في كاتدرائية اليمين حيث يلفظ الملك محاطا بأعيانه قسم الوفاء للكنيسة ولشعبه ثم يتم تكريسه بعد ذلك أي يدهن بالزيت المقدس، بينما يلفظ رئيس الأساقفة هذه الصيغة كن مباركا وكن ملكا في هذه المملكة لأن الله أعطاك أن تقودها ومن بعد أن يرتدي شعائر الوظيفة الملكية يعرض على الشعب."[2] إن النظام الملكي الذي كان يسيطر على فرنسا عمل على تكريس الطبقية، وجعل سلطة الدين

---

[1] – فولغين ، ف: فلسفة الأنوار، تر:عبودي ، هنرييت ، دار الطليعة لطباعة والنشر، ط1 ، بيروت لبنان، 2006، ص17.

[2] – سوبول ، ألبير: تاريخ الثورة الفرنسية، تر: كوسى ، جورج، مرجع سبق ذكره، ص64.

تتدخل في الأمور السياسية، من خلال فرض نظام يمنح لرجل واحد كامل الحقوق والامتيازات وترجع إليه كافة القرارات.

و"مما زاد الأوضاع سوءا تأسيس إدارة الشرطة في عهد لويس الرابع عشر، وازدياد وسائل الضغط على الشعب، فمدير الشرطة كان يعتقل من يشاء، ويبقى المعتقل سجينا ما شاء بموجب أوراق تسمى "أوراق سرية"، ويساق السجناء إلى سجون لا يحق لموظفي العدلية التدخل في شؤونها هذا بالإضافة الى المعاملة السيئة لسجناء ومن أمثلة هذه السجون سجن باستيل."[1] وهو ما يدل أن الوضع السياسي في فرنسا من سيئ إلى أسوء حيث كان الشعب يعاني من الظلم والاستبداد نتيجة لسيطرة النظام الملكي، حيث غابت كل مظاهر الحرية والمساواة بين البشر.

"بعد انهيار السلطات في فرنسا قامت على إنقاضها سلطات أخرى تتفق مع روح العصر وحاجاته، فهناك قامت سلطة رجال القانون الذين نسجوا فيما بعد للثورة شرائعها ووضعوا قوانينها، وهناك قامت سلطة رجال التجارة، وهناك قامت كذلك سلطة أخرى، فكانت لها الأثر البالغ وهي سلطة الأقلام الذين خلقوا بكتاباتهم في فرنسا رأي عاما فكانت تحمل صفة التشكيك، وعدم اليقين، واتهام كل ما أحاط من الظلم والفساد، ومن هؤلاء الأقلام التي حملت لواء الديمقراطية، أمام دول الأرض ومن هؤلاء الكتاب فولتير، ومونتيسكيو وروسو

---

[1] – عيسى محمود، ديما: الطبيعة البشرية عند فلاسفة التنوير وأبعادها التربوية (دراسة تحليلية مقارنة) ، رسالة دكتوراه في أصول التربية، جامعة دمشق، كلية التربية ، السنة الجامعية 2015، ص45.

* **الباستيل:** كان اسمه الحقيقي الباستيد وليس الباستيل بمعنى الحصن وقد بدأ التفكير جديا في بنائه مكان السور عند باب سانت انطون لحماية باريس من الشرق وحماية باب سان دنيس ، وسان مارتان بعد هزيمة جواتييه ، وأسر الملك جان الطيب عام 1356.أنظر: عوض، لويس الثورة الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص17.

ونظرياته السياسية."[1] بالتالي تكون من أهم الأسباب التي أدت إلى تشكيل ملامح الثورة وإجابتها هي أسباب فكرية قادها رجال الفكر وتأثروا بالأوضاع التي كانت تعيشها فرنسا رافضين لهذا الواقع المر، حيث كانت أفكارهم مصدر لنشر الحرية والمساواة بين أبناء الشعب.

2. تأثر جان جاك روسو بأوضاع فرنسا القرن 18:

"لا تنفصل فلسفة جان جاك روسو وأفكاره السياسية عن السياق التاريخي للقرن الثامن عشر، فقد شكل إلى جانب ثلة من المفكرين تيارا فلسفيا يعنى بإحلال المساواة والحرية، والعدالة الاجتماعية أمام جبروت الحكم المطلق، وأمام الوصاية التي تفرضها الكنيسة على الإنسان." [2] والمقصود هنا أن فلسفة روسو كانت نابعة من الوضع الذي كانت تعيشه فرنسا آنذاك فقد رفض روسو كل تلك المظاهر، حيث سارت مؤلفاته مثل "العقد الاجتماعي" و"أصل التفاوت بين الناس" مرتبطة بشعارات الثورة في حد ذاتها.

يبدأ هذا الأخير في كتابه العقد الاجتماعي بالتحدث عن السياسة التي هي مصدر اهتمام الشعوب والمعول الوحيد له فيقول: " **قد يسألني أحدهم إن كنت أمير أم **مشرعا**

---

[1] – جلال حسن: الثورة الفرنسية، دار الكتب المصرية، دط ، القاهرة ، 1928، ص53.

[2] – الجلالي، محمد: ملامح الحداثة السياسية في فلسفة جان جاك روسو من الحياة العارية إلى بناء المجتمع السياسي، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد50 ، 2019، جامعة الحسن الثاني، المغرب، ص05 ، http://jilrc.com/، أطلع عليه يوم 2020/3/6.

[2] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب، عبد العزيز، ط1 ، بيروت لبنان، 2011، ص77.

****المشرع عند روسو:** هو رجل جيد في الدولة ليس كغيره من الرجال في ، وهو كذلك لأنه عبقريا، وليست وظيفته أدناه، فليست منصب في الحكم، ولا سيادة فقط، وإنما وظيفة عالية المقام لا توجد لها صلة مع السلطة الشعبية.

أنظر: روسو، جان جاك، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سبق ذكره، ص ص125-126.

حتى أكتب في السياسة؟ وجوابي أنا كلا. ولذلك أكتب في السياسية. لو كنت أمير أو كنت مشرعا لما أهدرت وقتي في قول ما يجب عمله بل لكنت فعلته أو سكتت."[1] والمقصود هنا أن روسو ساعد بأدبياته إلى إنضاج ذهن المواطن الفرنسي فمن خلال معايشته للظروف التي كانت يعيشها الشعب في تلك الفترة، ومن خلال خبرته في الحياة تكلم عن القوانين التي توفر الحقوق الاجتماعية والسياسية والتي تنتهك، وهذا من باب أنه أحد أبناء هذا الشعب فأعتبر أن المشرع واجبه وضع القوانين والأمير هو تنفيذها، وبالتالي يرجع الأمر إلى قوة الشعب.

لطالما كان جان جاك روسو فخورا كونه مواطن من "جمهورية جنيف" فكان دائم التحدث عن جمهوريته فتوجه بخطاب لها جاء فيه: "**وكنت أود أن أولد في بلد لا يمكن أن يكون للسيد والشعب فيه غير مصلحة واحدة بذاتها وذلك لكي ...تميل جميع حركات الآلة إلى السعادة العامة وبما أن هذا لا يمكن أن يكون ما لم يكن حكومة ديمقراطية معتدلة الحكمة.**"[2] كانت عبارات روسو واضحة يبدي إعجابه بالنظام الجمهوري الديمقراطي الذي يوحد مصلحة الدولة مع مصلحة الشعب لتكون واحدة، حيث تسعى هذه المصالح المشتركة إلى تحقيق السعادة والخير، وتحرر الإنسان من طغيان الحكم الملكي المستبد الذي تعاني منه فرنسا.

---

[1] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب، عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص 77.

[2] – روسو، جان جاك: خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، تر: بولس غانم، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت لبنان، 2009، ص 38.

حيث كانت "تمثل فرنسا بالنسبة لروسو مقر عضمته ومهبط أفكاره حيث ضل في هذه البلاد بعدما خرج من جنيف طريد أربعين سنة يقاعد الفقر والفقر يقعده، ويطرق أبواب التعليم والموسيقى وخدمة الحكومات من غير أي نجاح إذ به نطق أول خطاب ضد الترف فكانت كلمته صريحة وقوية اهتزت لها عروش الأغنياء والمترفين."[1] الملاحظ هنا أن المدة التي عاشها روسو في هذه البلاد كانت كافية لتأقلم مع هذا الشعب ومع ثقافته، إلا أنه لم يستطع كبح مشاعره نحو الواقع المزري لهذا الشعب فطرح بذلك مقال في العلوم والفنون عام 1770.

فجاء قوله:" إن الملكية الخاصة والترف والإمعان في الشهوات هي سبب كل التعسات المكدسة التي تقع على رؤوس ملايين الفقراء، والتي يحتملها الشعب لما طال إيهامه أنها أصلح الأنظمة للوجود الاجتماعي، وإنه لا سبيل لتخلص الأغلبية من هذا الشقاء إلا بعودة الإنسانية إلى حالتها الطبيعية."[2] يتبنى روسو بشكل صريح دعوته لعودة الإنسان لحالته الأولى الصالحة البريئة، ونقده اللاذع لما فعلته الثقافة والتقدم في فرنسا من فساد وانحطاط ، حيث دافع في مقالته على الفئة الاجتماعية الضعيفة والفقيرة من الشعب والتي تعاني من الجوع والفقر، وترزخ تحت وطأة الأنظمة الظالمة.

إن حياة روسو في هذه البلاد جعلته "إنسان جمهوري يتحدث عن جمهوريته ويطلقون عليه في نوادي باريس اسم "المواطن"، إن جميع الفوارق الاجتماعية التي تفرق بين الناس في باريس غير معترف بها في جمهوريته.إنه مولع بالمساواة فلا يريد أن يدع نفسه ينخرط

---

[1] – حسين هيكل، محمد: جان جاك روسو حياته وكتبه، (دط) ، (دت) ، ص10.

[2] – المرجع نفسه، ص 10.

في هذا النظام الاعتباطي المسمى بالنظام الاجتماعي."[1] رغم شعور روسو أنه غريب في هذه البلاد وحنينه لبلده الأم لم يمنعه من التأثر بتلك الأوضاع السيئة التي تعيشها فرنسا تحت طغيان وفساد النظم، حيث كان صوتا لهذا الشعب وسعى بذلك إلى نشر مبادئ النظام الجمهوري القائمة على نشر المساواة حيث تجسدت هذه الأخيرة في كتابه الذي نشر عام 1755 بعنوان "أصل التفاوت بين الناس".

ليطرح بذلك كتابه "العقد الاجتماعي" الذي نشره عام 1762 والذي تتلخص فيه جميع أفكاره السياسية حيث كان يسعى من خلال كتابته لهذا الكتاب إلى اعتبار "أن الحرية والمساواة معا هما المبدءان الجديران بأن يكونا أهم مكونات أي نظام تشريعي."[2] سعى الفيلسوف ***جان جاك روسو** من خلال العقد الاجتماعي الاحتفاظ بالحرية كحق طبيعي لا يمكن التنازل عنه وجعلها مع المساواة أساس النظام الجمهوري.

---

[1] – غروتويزن ، برنار: فلسفة الثورة الفرنسية، تر: عصفور، عيسى، منشورات عويدات ، ط1 ، بيروت لبنان ، 1982، ص96.

[2] – ووكلر ، روبرت: روسو مقدمة صغيرة جدا، تر: محمد الروبي ، أحمد، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة، ط1 ، القاهرة مصر، 2015، ص25.

*–**روسو، جان جاك (1712_1778):** مفكر فرنسي ولد بجنيف عاش طفولة وشباب عسيرة، من والد ساعاتي، توفيت أمه مبكرا، تم وضعه تحت رعاية القساوسة وهو في العاشر من عمره، غادر من جنيف في السادسة عشر من عمره وضل اربعة عشر عاما من مكان إلى آخر، انتقل عام 1742 إلى باريس حيث تكونت صداقة له مع المفكر الحر دونيس ديدرو ، وفي 1750 نشر مقال كان قد فاز به بجائزة الآكاديمة وهو بحث في العلم والفنون، وفي عام 1755، نشر بحثه أصل عدم المساواة، وفي 1761 اكتمل مخطوطه إميل مع ثاني أهم أعماله العقد الاجتماعي. أنظر: تسيمر روبروت: في صحبة الفلاسفة مدخل لأعمالهم الفلسفية الرائدة، جز2 ، تر: عبد الله محمد أبو هشة ، دار الحكمة، دط ، لندن، 2012، ص ص ص151-152-153.

المبحث الثاني: فلسفة الحرية عند جان جاك روسو

يعد جان جاك روسو أحد أهم مفكري القرن الثامن عشر، حيث كان يختلف عن جميع معاصريه من الفلاسفة الذين سبقوه وحتى وإن كانت تلك المسائل التي خاضها نوقشت قبل روسو إلا أنه كان يحمل ذاك الاختلاف في أسلوبه، وعرضه لأفكاره وأول ما أراد أن يدافع عليه في فلسفته هو أن البشر من طبيعتهم أحرار، وأن حريتهم لا يمكن الاستغناء عليها. من هذا المنطلق نقول كيف تصور روسو حرية الإنسان كحق طبيعي؟ وكيف يمكن أن يحافظ عليها في ضل المجتمع المدني؟.

1. الحالة الطبيعية:

ينطلق روسو في تفسيره للحالة الطبيعية بأنها مجرد افتراض فقط من أجل معرفة حال الإنسان في هذه المرحلة، وهي عبارة عن تمهيد للانتقال إلى الحياة الاجتماعية، حيث "كان حديثه كحالة لم يعد بها وجود، وربما لم توجد بالمرة، وقد لا توجد البتة، وبالتالي لن تكون لدينا عنها أفكار صحيحة لكي نحكم حكما صحيحا على حالتنا الراهنة فينبغي لنا أن نستنبط القانون الطبيعي من حالة الطبيعة، بيد أننا بقدر ما نجهل الإنسان الطبيعي يستحيل علينا أن نعين القانون المفروض عليه أصلا أو الذي يلائمه خير ملائمة."[1] حاول روسو أن يبين من خلال البحث في هذه الحالة أنها مجرد مسألة تعبر عن حقائق تخمينية وبعيدة عن

---

[1]– رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، تر: فتحي الشنيطي ، محمد، المصرية العامة للكتاب، جز3 ، (دط) ، الإسكندرية مصر، 1977، ص292.

الواقع وعن الحقيقة، إلا أنه يمكن الاستعانة بها لمعرفة حالة الإنسان الصالحة ولكي تكون المنطلق لحياة جديدة.

اهتمام روسو وتركيزه ينطلق من فهم خصال الإنسان التي تميز بها قبل تشكل المجتمع البشري، إلا أنه اعتبر أن معرفة الإنسان في المرحلة البدائية أمر صعب وذلك راجع إلى تغيرات حصلت في حياته، من هنا يكون من الصعب أن نميز بين ما هو طبيعي وما هو مكتسب عبر مرور الزمن، يجدر بنا الإشارة هنا أنه كان يقصد الفضائل المتعلقة بالجوانب الروحية والأخلاقية، وليست تلك التغيرات المتعلقة بالجانب الفيزيولوجي. حيث كان يقول:" **لن أتقفى البتة تنظيم هبته عبر تطوراته المتلاحقة، ولن أترصد في الجهاز الحيواني ما كان على الأرجح يكونه الإنسان في البدء حتى يصير، في النهاية، ما الذي هو؛ لن اتفحص ما إذا كانت أظافر الإنسان المستطيلة في أول أمرها مخالب عقفا، على ما ذهب إليه أرسطو؛ أو ما إذا لم يكن أشعر كمثل الدب، وما إذا لم تكن نظراته المتجهة صوب الأرض حينما يدب على أربعة أرجل.**"[1] يقصد روسو أن كل التغيرات التي لحقت بالإنسان سواء في تكوينه الخارجي أو الداخلي إلا أنه يضل يحمل صورة الإنسان دائما.

أراد روسو أن يحلل الحالة الطبيعية انطلاقا من أن الإنسان كان يعيش حالة من البساطة تقتصر حياته على الأكل والشرب مثله مثل الحيوان، والطبيعة هي التي توفر له كل هذه المتطلبات حيث يصفه أنه "كان متوحدا في الغاب لا يعرف أهله ولعله لم يكن يعرف أولاده،لا لغة له ولا صناعة ولا فضيلة ولا رذيلة من حيث إنه لم يكن له مع الأفراد أنواعه

[1] – روسو، جان جاك: خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، تر: بولس غانم، مصدر سبق ذكره، ص 71

أية علاقة يمكن أن تصير علاقة خلقية."[1] يمكن القول هنا أن روسو تصور الإنسان المتوحد في الحالة البدائية على أنه يعيش حياة البساطة، لم تكن له علاقات مع أبناء جنسه، لأن الطبيعة كانت توفر له جميع متطلباته.

فالطبيعة جعلت من الإنسان "سعيدا لم يعرف القيود ولا الحواجز، ولم يصطنع الرياء، كان يتصرف بتلقائية وحرية، ولم يكن له مسكن واحدا ثابتا ولا لغة، كانت صرخاته الغريزية تغنيه عن الألفاظ والكلمات، ولقد علمت الطبيعة الإنسان كل ما يريد أن يتعلمه ومنحته بكل ما يريد أن يمتلكه أو يستخدمه."[2] حاول روسو إبراز فكرة مفادها أن الطبيعة هي الحضن الذي منح للإنسان كل ما يريده من سعادة ووئام، لم يعرف تلك القيود التي تمنع من تحقيق رغباته، لأنه كان يأخذ نصيبه الكبير من الحرية.

تظهر صورة الحرية عند روسو في أقدم أشكال التجمعات البشرية وهي الأسرة، إلا أن هذه الأخيرة ليست مجتمع مستمرا ودائما، إنما هي تجمع مؤقت ينتهي بانتهاء الحاجة إليه وهذا ما يقصده "إنها الحرية المشتركة نتيجة لطبيعة الإنسان، وقانونها هو السهر على بقائها الخاص وتكون اهتمام الأولى هي تلك الواجبة عليها وما إن يبلغ الإنسان الرشد حتى يصبح سيد نفسه... ولما كانوا جميعا مولودين متساوين وأحرارا فإنهم لا يتنازلون عن حريتهم إلا من أجل منفعتهم."[3] ينطلق روسو من الأسرة كأول نموذج في الحالة الطبيعية الأولى والتي

---

[1] – كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة، (دط) ، مصر، 2012، ص213.

[2] – عبد الله المعطي محمد، علي: تيارات فلسفية حديثة، دار المعارف الجامعية، (دط) ، الإسكندرية مصر، 1998، ص 439.

[3] – النشار، مصطفى: فلاسفة أيقظوا العالم، مرجع سبق ذكره، ص267.

تظهر فيها حرية الأبناء في قدرتهم على المغادرة من الأسرة بمجرد كبر سنهم واستطاعتهم الاعتناء بأنفسهم، لتكون الحرية صفة طبيعية للإنسان.

بين روسو أن الحرية هي الميزة الجوهرية التي تميز بين الإنسان والحيوان، فيقول في هذا الصدد:"**إن الطبيعة لأمارة على كل حيوان، وما على البهيمة إلا الطاعة أما الإنسان فيستشعر عين الانطباع، ولكنه يعي نفسه مخيرا بين الإذعان والمقاومة وفي الوعي بهذه الحرية**".[1] أي أن الحرية مرتبطة بالإنسان فهي لا تنفصل عنه، وهي التي تميزه عن سائر الكائنات، إذ أن الطبيعة تفرض سلطتها على الحيوان فيكون خاضع لقوانينها على غرار الإنسان الذي يتمكن بالحرية على الرفض ومقاومة سلطة الطبيعة بوعيه ذاك.

2. الحالة الاجتماعية وبداية ظهور الصراع:

انطلق روسو في تفسيره للحياة الاجتماعية من أن الناس في البداية أي في الحالة الطبيعية كانوا يعيشون حالة تسودها المساواة والحرية، إذ كانت العلاقات فيما بينهم تقوم على السعادة والمحبة، بعيدة عن مظاهر الظلم والقهر، إلا أن تطور الحياة الاجتماعية والتقدم الذي حصل في المدينة، وظهور فكرة الملكية التي كانت عاملا سلبيا في انحطاط الجنس البشري أدت إلى ظهور التنازع والتفاوت بين البشر حول أحقية امتلاك الأراضي، وهذا ما هاجمه روسو في خطابه "أصل عدم المساواة بين الناس".

حيث يشير في هذا الصدد أن "أول من فكر حين أحاط قطعة أرض في أن يقول هذا لي ووجد قوم بلغ بهم العمى ليصدقوه هو الواضع الحقيقي للجمعية المدينة، وكم من الجرائم

[1] – روسو، جان جاك: خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، تر: بولس غانم، مصدر سبق ذكره، ص 83.

والحروب والدماء، وكم من التعس والبؤس كان يوفره على الإنسانية ذلك الذي يتقدم ساعتئذ فيقتلع الأحلام أو يردم الخندق المحيط ويصبح في قومه: إياكم والاستماع إلا هذا الكذاب."[1]

اعتبر روسو أن سبب المساوئ والمصاعب في حياة الإنسان عند انتقاله للمجتمع المدني، وكان هذا الأخير تحت سيطرة كابوس الملكية التي خلفت الحروب والصراعات بسبب التفاوت بين البشر. حيث "**كان أقوى الناس من كان أوفرهم إنتاجا، وكان اللبق يستفيد من لباقته، وكان اللبيب يكتشف وسائل لاختصار عمله**".[2] يحيلنا كلامه هنا أن الاجتماع البشري جلب معه المصاعب فلم يكن التفاوت بين البشر قائم فقط على الملكية، وإنما حتى التفاوت الطبيعي أصبح جزءا من هذا الحال، إذ تدخلت درجات الذكاء والقوة فأنتجت ما يسمى بالتفاوت الأخلاقي، وهذا ما أدى إلى ظهور الطبقات الاجتماعية.

و"في ضل هذه الحالة (المجتمع المدني) يبدأ الأغنياء في السيطرة على الفقراء بوسائل مختلفة، وتظهر كنتيجة لذلك مشاعر الحقد والكراهية والحسد."[3] والمقصود هنا أن ظهور الفساد الأخلاقي والاجتماعي نتيجة سيطرة القوي على الضعيف، والغني على الفقير، حيث أصبح الإنسان مسلوب لحريته يخضع لأقوى منه وهو ما أدى إلى تفشي الشر بين الأفراد.

بناءا على رؤية روسو للإنسان البدائي ولطبيعته الخالية من الظلم والشقاء سيكون الفرق واضح بين حالة الإنسان الطبيعي والإنسان المتمدن يقول هنا: "أود أن يقولوا لي ما

[1] – حسين هيكل، محمد: جان جاك روسو حياته وكتبه، مرجع سبق ذكره، ص81.

[2] – روسو، جان جاك: خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، مصدر سبق ذكره، ص130.

[3] – أحمد صيام، عزة : تاريخ الفكر الاجتماعي، مركز التعليم المفتوح، (دط)، جامعة بنها، (دت) ، 2012، ص 130.

هو هذا الشقاء الذي ينسبونه إلى رجل الطبيعة وأي شقاء يمكنه أن ينتاب كائنا حرا، مطمئن القلب، سليم الجسم."[1] من هنا يكون كلام روسو واضحا حول الإنسان البدائي، فهذا الأخير كان يتمتع بالحرية والطمأنينة، بعيدا عن الشقاء والطمع، والظلم التي جلبتها مظاهر الحياة الاصطناعية.

أشار روسو أنه "**من المحال استعباد إنسان دون وضعه سلفا في حالة لا يستطيع بموجبها الاستغناء عن غيره، ولما لم يكن هذا الوضع موجودا في حالة الطبيعة، ضل كل شخص فيها حرا من أي نير**".[2] كان موقف روسو صريح حيث عبر عن رفضه التام أن يكون الإنسان خاضعا لغيره، وأن يعيش في ضل الاستعباد والاستغلال وهذا ما جسده في الطبيعة المنافية لكل هذه المظاهر فلم يوجد الشخص الهمجي الاستبدادي، إنما الطبيعة فرضت المساواة والحرية وهذا ما عبر عنه في كتابه "إميل" "**أن الناس في الحالة الطبيعية سواسية**".[3]

تكلم روسو عن الفساد الذي يعيشه الإنسان في هذا المجتمع حيث سلب منه أهم حقوقه الطبيعية وهي الحرية، لأنه أصبح يعيش تحت نير العبودية "فمثلما يزأر الجواد البريء بسببه، ويضرب الأرض بحافره، ويجمع بشدة لمجرد نور الشكيمة منه، في حين يحتمل الجواد المروض السوط والمهماز صابرا، كذلك فإن الرجل الهمجي لا يطأطئ رأسه

---

[1] – كريستون ، أندريه: روسو حياته، فلسفته، منتخبات، تر: صقر نبيه، منشورات عويدات ، ط4 ، بيروت باريس، 1988، ص82.

[2] – روسو، جان جاك: خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، تر: بولس غانم، مصدر سبق ذكره، ص112.

[3] – روسو، جان جاك: إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، تر: لوقا نظمى، الشركة العربية لطباعة والنشر، (دط) ، ص31.

لنير الذي يحمله الرجل المتمدن، وبفضل الحرية العاصفة على العبودية الساكنة."[1] نقده هنا لم يتوقف فقط على الوضع الاجتماعي وإنما شمل أيضا الوضع السياسي الذي آلت إليه المجتمعات التي تعيش تحت وطأت الأحكام المستبدة، والتي تضن شعوبها أنها تعيش في حرية ليبين هنا أن الإنسان المتمدن، إنما هو عبد يخضع لسيده بعد أن كان حرا في حالته الأولى (الطبيعية).

3. الحرية كأساس في العقد الاجتماعي:

بعدما كان الإنسان البدائي يعيش بحرية كاملة إلا أن الظروف الاجتماعية القاسية جعلته يحتاج إلى غيره من أجل التعاون والعمل، فهذا الأخير خلق في الإنسان الاجتماع مع "الآخر" فأصبح ينظر إليه أنه مدني ، وهنا تظهر رؤية الفيلسوف **جان جاك روسو** من خلال نظرية العقد الاجتماعي فهذا الأخير جاء ليصلح أوضاع البشرية.

"فقد أراد روسو أن يقيم تعاقدا اجتماعيا أكبر يقي الإنسان شرور حالة المدنية التي انتقل إليها باستخدامه للعقل، لقد رمى روسو في البداية إلى الرجوع بالإنسان إلى الحالة الطبيعية الأولى، ولكنه تراجع عن ذلك المرمى إلى خطة عملية تهذب الحالة المدنية والحضارة وتعالج مثالبها مع الحفاظ على المزايا الحسنة، فالعقد الاجتماعي ليس إلا محاولة لإصلاح الحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمع حتى يستطيع الإنسان أن يسترجع كل أو بعض

---

[1]- المستكاوي ، نجيب: جان جاك روسو حياته، مؤلفاته، غرامياته، دار الشروق، ط1 ، بيروت، 1989، ص ص 124-125

مميزات التي كان يتمتع بها."[1] أدرك روسو أن حالة الطبيعة أنقضت ولن تعود، وأفضل طريقة تهذب وتضبط حالة الإنسان بعد انتقاله للحالة الاجتماعية هي* العقد الاجتماعي.

فطالما أصبح الإنسان لا يستطيع العيش خارج المجتمع، وأن تكوينه يكون مع إتحاده مع الآخرين فكيف يمكن أن يحافظ على حريته الطبيعية الجواب عند روسو هو "يوجد طريقة تتيح لكل إنسان أن يشعر بأنه حر في مجتمعه، وبأن حقوقه محترمة، وذلك ببناء هذا المجتمع على عقد أو على ميثاق اجتماعي، أي التزام شرعي يتضمن تنازل الفرد عن شخصه وعن جميع حقوقه لمجتمعه."[2] سعى روسو لبناء مجتمع قائم على العقد، مجتمع حرا يضمن للفرد التمتع بحقوقه، ويتيح له الحرية الكاملة وهذا في ضل الجماعة.

مدام هذا التعاقد يكون بين جماعة حرة ومستقلة فإن روسو جعله قائما على التراضي والاتفاق "فهو يهيئ الفرد للتعامل مع الجماعة وفق أطر التنازل التي يفقدها كل فرد من رضاه بهذا العقد و يضحي الفرد بهبته نفسه لجميع. يساوي جميع ما فقده في إطار الكل."[3] يتضح من هذا أن روسو جعل من العقد مبني على التراضي والاتفاق إذ يتنازل الفرد باختياره و بمحض إرادته وحريته تكون في الموافقة عليه، والخضوع له، مدام يخاطب جماعة متساويين، وبالتالي يكون كل فرد هو جزء من هذا الكل.

---

[1] – وقيع الله أحمد، محمد: مدخل إلى الفلسفة السياسية (رؤية إسلامية) ، دار الفكر، ط1 ، دمشق سوريا، 2010، ص 180.

*–**العقد الاجتماعي:** هو اتفاق يلتزم بمقتضاه شخص أو عدة أشخاص تجاه شخص أو عدة أشخاص بتقديم شيء ما بالقيام أو بعدم القيام بشيء ما وحسب روسو فهو مجموعة المواثيق أو المواضعات الأساسية، التي تتضمنها الحياة قي المجتمع. أنظر:لالاند أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد1 (A–G) ، مرجع سبق ذكره ، ص224.

[2] – كريستون ، أندريه: روسو حياته، فلسفته، منتخبات، تر: صقر نبيه، مرجع سبق ذكره، ص84.

[3] – زيان محمد، صايم عبد الحكيم: الإنسان ومشروع المواطنة في فلسفة جان جاك روسو، مجلة علوم الإنسان و المجتمع، العدد21 ، جامعة وهران، 2016، وهران الجزائر، ص189.

بمجرد دخول الفرد في هذا العقد فإنه يصبح متحدا مع الجماعة وهذا لأن روسو كان يهدف لتحقيق العدالة إذ يقول في هذا الصدد: "**يضع كل واحد من شخصه وكل قدرته موضع اشتراك تحت الإمرة العليا التي للإرادة العامة**".[1] والمقصود هنا أن كل عضو يتنازل عن جميع حقوقه لصالح روح الجماعة أو الكيان السياسي، لأنه غدا جزء لا يتجزأ منهم أي من مجتمعه.

هذا الإتحاد الذي كان قائم بين البشر في العقد حسب روسو مبدأه الحرية وليس الجبر "**فالقوة لا تولد أي حق**".[2] إن الفرد له الحرية في التحكم بنفسه داخل المجتمع المدني، إلا أنه يبقى ملتزما في العقد تحت الإرادة الحرة وليس بالقوة.

يحيلنا الأمر هنا أن روسو كان مختلفا على هوبز في طرحه للعقد الاجتماعي إذ يشير هذا الأخير أن صيغة العقد تكون بين "**فرد مع فرد أخر وهو اتفاقية تقوم على افتراض أن كل شخص يقول للآخر: إني أخول لهذا الرجل أو مجموعة من الرجال بالتخلي له عن حقي في أن يكون حاكم على شرط أن تتخلى له عن حقك وتسمح لأفعاله بطريقة ذاتها**".[3] إن العقد الذي اقترحه هوبز يعتمد على تنازل الفرد عن حقوقه لصالح المنفعة المشتركة، إلا أنه يستبعد طرف واحد من هذا الفعل وهو الحاكم، إلا أن روسو اختلف معه في هذه النقطة هذا الأخير أكد أن العقد ينطلق من تنازل الجميع دون استثناء من أجل قيام مجتمع حقيقي.

---

[1] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب عبد العزيز، مصدر سبق ذكره ، ص94.

[2] – المصدر نفسه، ص84.

[3] – هوبز ، توماس: الليفياثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، تر: حرب ديانا، صعب بشرى، هيئة أبوظبي لثقافة والتراث، دار الفارابي، ط1 ، بيروت لبنان، 2011، ص180.

بيد أن الملفت هنا أنه طرح تساؤلا بقوله: "**ماذا يكسبون والحال أن تلك الراحة هي بعينها ضرب من ضروب بؤسهم؟ والمرء يحيا على راحته في غياهيب السجون أيضا، فهل ذلك كاف ليرى نفسه في طيب العيش**".[1] فالشاهد من هذا أن روسو كان جوابه "لا" لأن هذا الكلام غير معقول ولا طائل منه، فالحاكم عنده من خلال العقد الاجتماعي طرف فيه يضمن توفير السعادة، والطمأنينة للشعوب وبالأخص حريتهم.

يصل بنا القول هنا أن النظام الذي سعى إلى تطبيقه روسو في العقد الاجتماعي كان دلالة على رفضه للنظام الذي ساد في عصره، فقد كشف عن فلسفة تقوم على نظام سياسي اجتماعي وهذا ما أشار إليه في "كتابه العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية".

إذ يستهل في كتابه الشهير بعبارة جريئة هزت أوساط فرنسا كلها يقول فيها: "**ولد الإنسان حرا، وفي كل مكان، إلا إنه أصبح مقيدا ومكبلا، مثل هذا يعتقد أنه سيدا الأخرين ، الذي لا يترك كونه عبدا أكثر منهم**".[2] فالشاهد من هذا الكلام أن روسو لطالما كان مؤمن بأن الحرية هي جوهر الإنسان، فلا يمكن أن يستغني الإنسان عليها، لأنها خلقت معه إلا أنه أصبح مقيدا تحت نظم ظالمة جعلت منه عبدا.

جعل روسو حرية الإنسان الركيزة الأساسية التي يقوم عليها النظام الاجتماعي الذي نادى به " فهذا المجتمع يضل الإنسان فيه رغم إتحاده مع الجميع يطيع نفسه فقط، ويبقى حرا كما كان من قبل ... تلك هي المعضلة الأساسية التي يقدم لها العقد الاجتماعي

---

[1] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب عبد العزيز، مصدر سبق ذكره ، ص85.

[2]_ Jean-Jacques Rousseau: Du contrat social ou principes du droit politique, metalibri,2007, p1

الحل."[1] بهذا المعنى يكون قد أسس لمجتمع سياسي، الأفراد فيه راضين، حقوقهم مكفولة، وأهم شيء تكون الحرية هي مضلة هذا المجتمع، لا يخضع فيه الفرد لأي قوة، قوامه المشاركة مع الجميع من أجل المصلحة العامة.

إن الناظر لموقف روسو وتأكيده على عدم انتهاك الحرية واستبدادها إنما ليثبت أن تخلي الفرد عن حريته هو تخلي عن صفته كإنسان حيث يقول في هذا الصدد: "**عدول المرء عن حريته يعني عدوله عن صفة الإنسان التي له وعن حقوقه الإنسانية بل وحتى عن واجبته. لأن عدولا كهذا غير ملائم لطبيعة الإنسان، فإن تعطيل الحرية في إرادة الإنسان هو تعطيل لكل أخلاقية في أعماله**".[2] نستشف من خلال قوله هذا أن انعدام الإنسان عن حريته هو انعدام عن إنسانيته وجوهره، فهي جزء لا يتجزأ من كيانه ونجد روسو يؤكد أن الأفراد عندما قرروا إبرام العقد بينهم فإنهم تنازلوا عن حقوقهم لصالح الجماعة وهذه الأخيرة هي التي تقوم بالتنظيم والإشراف ولا يعود بذلك الفرد خاضعا تحت قيادة فرد آخر وتبقى الحرية مقدسة ومكفولة.

يشير روسو أن العقد أبرم بين أفراد أحرار وأن التنازل الإرادي عن حقوقهم لا يكبت من حريتهم فهو يهدف لتأسيس مجتمع موحد ومتماسك و "أن ما يفقده في ذلك العقد أو الارتباط الجديد حريته الطبيعية التي كانت أصلا من أصول نمط عيشه، وستعوض بحرية

---

[1] – ديورانت ، ول وايريل: قصة الحضارة (روسو والثورة) ، تر: أندراوس فؤاد، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء1 ، دط ، بيروت، ص 282.

[2] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص86.

ثانية تحت قوانين مدنية."[1] نفهم من خلال هذا أن الإنسان بمجرد انتقاله إلى الحياة المدنية، وبموجب العقد فإن حاله تتغير من حالة التوحش إلى حياة التحضر، ومن الحرية المطلقة التي لا حدود لها إلا قوة الفرد إلى التمتع بالحقوق وبالحريات المدنية الخاضعة للقانون، والتي أقرتها الجماعة.

نتيجة لهذا الإتحاد بين الفرد والجماعة تتكون هيئة سياسية أو مجتمع سياسي"تجعل من كل فرد فيه حاكما ومحكوما في الوقت نفسه حاكم لأنه عضو في الهيئة السياسية، صاحب السيادة ومشارك في نشاطاتها، ومحكوم لأنه يخضع للقوانين التي تشرعها هذه الهيئة السياسية التي تتصف بأنها العامة."[2] بهذا المعنى يكون العقد الاجتماعي في نظر روسو هو ذلك الذي يوفر الهيئة السياسية التي تمنح الحرية الكاملة للمواطنين، إذ تصبح السيادة في يدهم بعيدا عن العبودية والخضوع، إضافة إلى ذلك يكون كل عضو ملزم تحت قوانين سنتها الإرادة العليا العامة للشعب.

يعتبر روسو أنه من الضروري وجود دولة في المجتمع السياسي لأن هذه الأخيرة أساسها العقد الاجتماعي حيث يقول هنا: "**أن إتحاد جميع الأشخاص الآخرين، وكان يحمل قديما اسم المدينة ويحمل الآن اسم الجمهورية أو الجسم السياسي.. الشركاء يطلق عليهم جماعيا اسم الشعب وفرديا مواطنين وهم أصحاب السيادة، ويطلق عليهم رعايا**

[1] – زيان، محمد: قيم المواطنة في الفكر السياسي الحديث والمعاصر جان جاك روسو أنموجا ، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 2، كلية العلوم الاجتماعية، السنة الجامعية2018 –2019، ص252.

[2] – محفوظ، مهدي: اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، ط1 ، بيروت لبنان، 1990، ص148.

لأنهم خاضعين لقوانين الدولة".[1] نستشف من خلال هذا أن تأسيس الدولة كان بموجب الاتفاق بين البشر حيث يعتبرها روسو الهيكل الذي يعبر عن الاجتماع، فقد كونت رعايا ومواطنين وجعلت أساس الحكم يقوم على المشاركة الجمعية بين الأفراد، فهي دولة ذات سيادة تحترم حرية الفرد وتزيد منها، ولا تكبحها ولا وجود لخضوع الأفراد فيها لأي حاكم فقط هم أسياد أنفسهم وهذا ما جعله روسو مفتاحا لدولته وفق نظام اجتماعي عادل.

المبحث الثالث: آليات الدفاع عن الحرية عند جان جاك روسو.

أكد روسو أن الحرية صفة جوهرية للإنسان لا يمكن التنازل عنها في أي حال من الأحوال، حتى أن الميثاق الذي أبرم بين الأفراد يهدف من خلاله إلى إعادة الاعتبار للحرية وصونها، فجعل منها حجر الزاوية لبناء مجتمع سياسي، إلا أن السؤال هنا ما هو مصير حرية اللإنسان بعد قيام العقد الاجتماعي.؟ يجيب روسو أن الدفاع عن الحرية يكون في ضل وسائل تحافظ وتصون هذا الحق، وهي سيادة الشعب، والإرادة العامة، والقانون.

1. سيادة الشعب:

"جمع روسو في نظريته عن السيادة بين ذلك الجانب الدقيق الذي حدده هوبز عن هذا المفهوم، وبين مشاعر لوك المؤيدة للحرية وحاول إيجاد مفهوم جديد للسيادة تمتزج فيه الحرية بالسيادة امتزاجا غريبا."[2] إن الحرية لا يمكن الدفاع عنها انطلاقا من التخلي المطلق لسلطة مسندة لحاكم واحد على حسب نظرة هوبز ، ولا يمكن أن نرهن الحرية بقدرة الحاكم

---

[1] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص95.

[2] – عبد الله المعطى محمد، علي : تيارات فلسفية حديثة، مرجع سبق ذكره، ص449.

على توفير الممتلكات الخاصة للأفراد وجعلها تقتصر على هذا الحق على حسب لوك ، إلا أن روسو كان له نظرة مختلفة فقد اعتبر أن السيادة والحرية أمران مرتبطان، فالشعب هو صاحب الحكم وإليه ترجع كافة الأمور وبالتالي فالحرية تحضر هنا فهي الوسيلة التي يعبر بها الشعب عن إرادته داخل الدولة.

إن الحرية عند روسو هي احترام للسيادة الشعب أي أنها أصبحت في يد الإرادة الكلية حيث يصف روسو الشعب أنه "**إذ ليس صاحب السيادة إلا موجودا جماعيا لا يمكن لأحد أن يمثله سوى أن يمثل نفسه هو بنفسه**".[1] ويعني هنا أن الشعب عبارة عن ترابط حر بين مجموعة من الأفراد، وأن السيادة الحقة المتكونة من الشعب نفسه.

إضافة إلى حديثه عن أن السيادة تمارس فقط في الدولة لأن هذه الأخيرة هي السياسة التي تعمل على المحافظة على هذه الحقوق لشعبها وخاصة الحرية "فكأن روسو قد أعلن هنا عن عقيدته التي آمن بها في إيجاد هيئة هي المثل الأعلى، قائمة على الشعب هو مصدر السلطان ويبقى دائما صاحب السيادة والسلطان." [2] فالشاهد من هذا أن روسو كان مؤمنا تماما أنه لا وجود لنظام يجعل من الأفراد أسيادا، وآخرون عبيدا ، فالسلطة الصحيحة تكون للشعب وأن كل الشعب يكون خاضع لهذه السيادة وبالتالي الشعب والدولة هما الهيئة السياسية المثلى.

---

[1] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص21.

[2] – حبيب، سعيد: أعلام الفكر الفرنسي، دار الشرق والغرب، (دط) ، القاهرة مصر، 1950، ص79.

منح روسو للشعب السلطة المطلقة في الدولة بموجب العقد الاجتماعي، فالسيادة الشعبية مصدرها مستقل عن كل ما هو قابل للتنازل حيث يقول هنا: "**إن السيادة، إذ هي ليست سوى ممارسة الإرادة العامة فإنه يمتنع أبدا التنازل عنها**".[1] هنا يتكلم عن السيادة لغرض التأكيد أنها لا يمكن أن تخرج عن نطاق الإرادة العامة وذلك لأن هذه الأخيرة يجب أن تضل دائما حرة مالكة لزمام نفسها، فطالما صاحب السيادة هو الشعب فلا يمكن التنازل عن سيادته لأي حاكم، لأنه بمجرد خضوع الشعب إلى سلطة حاكم يتنازل عن سيادته.

أثبت أن السيادة في ذاتها لا تتجزأ فهي واحدة لا يمكن فصلها حيث يقول: "**السيادة غير قابلة للتنازل هو عينه الذي يجعلها غير قابلة للتجزئة. فإن الإرادة إما عامة أو لا تكون وإما متعلقة بجسم الشعب أو متعلقة بجزء منه فقط**".[2] يقصد هنا أن السيادة لا تقبل القسمة لأنها تبقى دائما محصورة في الشعب وهذا لأن روسو أثبت أنه حتى لو تعددت السلطة من الناحية العملية كالسلطة التشريعية والتنفيذية، فلا مانع من أن يتقاسم الحكم أشخاص أو هيئات، وإنما موكلة من طرف الشعب لأنه السيد.

يختم بقوله: "**أن السلطة السيادية، مهما كانت مطلقة تماما، ومقدسة تماما، ومصانة تماما من كل انتهاك لحرمتها، فإنها لا تتخطى، بل ولا يمكن أن تتخطى قيود الاتفاقيات العامة وأن كل إنسان يمكنه أن يتصرف تصرفا بحريته تماما في ما أبقت له هذه الاتفاقيات من ممتلكاته ومن حريته، بحيث لا يحق أبدا لصاحب السيادة أن يكلف**

---

[1] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص105.

[2] – المصدر نفسه، ص ص 106–107.

أحد الرعايا بما يزيد عما يكلف به غيره، فإن يعود الشأن إذاك شأن خاصا يفقد السلطان الذي لصاحب أهلية واختصاصه".[1] نلتمس من قول روسو أن السيادة الشعبية رغم أنها مطلقة ومقدسة ، إلا أنه يمنع عليها منعا باتا أن تنتهك حرية الأفراد وتمنعهم من التمتع بحقوقهم لأنه عندئذ يعم الاستبداد، والطغيان، ويفقد صاحب السيادة لصفته الشرعية.

2. الإرادة العامة:

بموجب العقد الاجتماعي الذي وضعه روسو فإنه يتساوى جميع الناس ويستعيد الإنسان حريته انطلاقا من خضوعه للإرادة العامة التي تعد الأسلوب الوحيد للسيادة الشعبية حيث يقول في هذا الصدد: "**إن كائنا ما كان الشخص الذي يمتنعه عن طاعة الإرادة العامة سوف يرغمه الجسم ككل على ذلك وهذا أمر إن عنى شيئا فليس سوى أن الممتنع سيرغم على أن يكون حرا**".[2] هذا يعني أن الإرادة العامة بوصفها تعبيرا عن إرادة الشعب هي أساس الحكم العادل، فهي الطريقة الوحيدة التي تسعى للمحافظة على حرية الفرد كعضو في الدولة.

تسعى الإرادة العامة على حسب روسو إلى وضع المنافع الفردية الخاصة موضع اشتراك في المنفعة العامة لكي تصبح واحدة وبدوره يؤدي إلى قيام الدولة التي تضمن الحرية وهذا ما أشار إليه في قوله: "**إن الإرادة العامة تكون على الصراط المستقيم دائما مسالة**

---

[1] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب عبد العزيز، مصدر سبق ذكره ، ص ص115-116.

[2] – المصدر نفسه، ص98.

إلى المنفعة العمومية دائما".[1] أي أن الإرادة التي يتحدث عنها هي التي تتجاوز المنفعة الفردية، وتسعى إلى إذابتها في المنافع المشتركة، وبالتالي تقضي على التنازع والأنانية وهذا لأنها إرادة عادلة.

يصف الارادة العامة أنها "إرادة الشعب المعبرة عن احساسه الذي لا يخطئ ، أو أنها صوت الحق في الشعب على الأرض وهي حقيقة فريدة من نوعها تعبر عن مجتمع ما، تنشد الخير الجماعي وتحارب الأنانية، فهي معيار الصواب، وما ليس بصواب يكون مجرد شيء آخر غير الإرادة العامة."[2] نستشف من هذا الكلام أن الإرادة العامة هي تعبير عن إرادة الشعب ، فهي تنطلق من المجموع لتطبق على الجميع، وهي التي تسعى للوصول للخير العام وصرف كل مظاهر الأنانية والظلم، بيد أنها تعمل لصالح المجتمع ككل.

نصل إلى فكرة مفادها "أن حرية الفرد تتمثل في سلوكه الذي ينبع من الإرادة العامة في إطار تشريع الحقوق والواجبات وتوزيعها بشكل يخلو من الحيف والتعسف والظلم، وضياع المصالح وسط تكتلات الطبقية المحتكرة للسلطة."[3] وهذا يعني أن الإرادة العامة هي الوسيلة التي يعبر بها الشعب عن حريته، علاوة على ذلك فهي تعمل على خلق التساوي بين الأفراد في الحقوق وفي أداء الواجبات وذلك عن طريق القوانين.

---

[1] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب عبد العزيز، مصدر سبق ذكره ، ص109.

[2] – فضل الله، محمد إسماعيل: نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، مرجع سبق ذكره ، ص130.

[3] – نعمون ، مسعود: التأسيس الفلسفي في فكرة الحقوق الإنسان عند روسو، مذكرة الماجستير في الفلسفة، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2008–2009، ص80.

3. القانون

"إن شر المجتمع كله ناجم عن أن بعض الناس فيه خاضعون للآخرين فليس فيه أسيادا وبيد يتبادلون إفساد بعضهم بعضا، وكل فرد يحيا تبعا للآخرين. حياة مناقضة للطبيعة ولكن ما العمل لكي تستمر الجماعة ويحافظ فيها الأفراد على حريتهم؟ لا يمكن ذلك إلا إذا أحللنا محل إرادة الإنسان إرادة غير شخصية: هي القانون."[1] أي أن القانون وضع لكي يحافظ على حرية البشر وليس لانتهاكها، فهو يقضي على تسلط السيد على الفرد وينفي بذلك فكرة العبودية.

لأنه بمجرد أن يكون القانون خاضعا للناس لن يبقى شخص يأمر، وبالتالي يكون الشعب حرا يطيع القانون ولكنه لا يطيع شخص آخر "وهنا نجد أن الحرية بدون العدالة هي تناقض حقيقي فلا حرية بغير قوانين، ولا حرية عندما يكون شخص فوق القانون، والشعب الحر يطيع لكنه لا يخدم لديه قضاة لكن ليس فيه سادة، وهو لا يطيع شيئا سوى القوانين، وبفضل قوة القوانين فإنه لا يطيع البشر."[2] أضيف هذا الكلام لما كان يقال سابقا إذ أن القانون مصدر لحفظ الحرية فالفرد الحر لا يخضع لأي سلطة وإنما يطيع قوة القانون فقط باعتباره هو نفسه مشاركا فيه.

وهذا ما سعى إليه روسو في قوله الذي جاء في خطابه إلى جمهورية جنيف: "**كنت أتمنى أن أعيش وأن أموت حرا، وهذا يعني خضوعك للقوانين التي لا يمكن أنا أو أي**

---

[1] – غروتويزن ، برنار: فلسفة الثورة الفرنسية، تر: عصفور عيسى، مرجع سبق ذكره، ص108.

[2] – عامر السوداني، أنسام: فلسفة حقوق الإنسان هوبز ، لوك ، مونتيسكو ، روسو، مكتبة مؤمن قريش، ط2 ، بيروت لبنان، 2017، ص149.

شخص التخلص منها".[1] والمقصود هنا أنه كان مؤمن بأنه لا وجود لحياة بدون حرية إلا أن الخضوع للقانون لا ينهي الحرية ولا يقف في وجهها وإنما طاعتنا للقانون هي في حد ذاتها حرية.

ولكن السؤال الذي يطرح هنا: من هو صاحب الحق الذي يسن القوانين يجيب روسو أن الإرادة العامة هي مصدر القانون أي في المواطن الذي يخضع للقوانين وأن يكون صاحب السيادة هو الشعب حيث يقول في هذا الصدد: "**يقضي كل الشعب في شأن كل الشعب فلا اعتبار عنده إلا لنفسه، إذا ما قامت إذاك علاقة فإنما هي علاقة الموضوع بأكمله منظور إليه من زاوية ما مع الموضوع بأكمله منظور إليه من زاوية أخرى دون تجزئته أيا كانت لكل، ومن ثم يكون الشأن: الذي يقضي فيه عاما مثله مثل الإرادة التي يصدر القضاء وهذا الفعل هو ما أسميه قانونا**".[2] حسب وجهة نظره فإن القانون نابع من الإرادة العامة، لأن إرجاع الحكم إلى شخص واحد سوف يوقع الشعب تحت سيطرة مستبدة وطاغية، وتتعارض المصلحة الخاصة مع المصلحة العامة، لذلك يمكن القول أن القانون هو فعل من الإرادة العامة وعلى الشعب الخضوع لسلطته لأنه يتصف بالعمومية من حيث مصدره.

أكد أن الحرية هي طاعة القانون وهذا الخضوع للقانون "ليس انتهاك للحرية بل صيانة لها، حتى للفرد المقاوم، لأنه بفضل القانون وحده يستطيع الفرد في المدينة أن يتمتع بتحرره

---

[1]- Jean-Jacques Rousseau: Dixours sur l'origiene et les fondements de l'inégalité parmi les hommes, Édition électronique, les échos du maquis, 2011,p6.

[2] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص 121.

من العدوان، والسرقة، والاضطهاد، وتشويه السمعة، وعشرات الشرور الأخرى ومن ثم فإن الشعب بإكراهه الفرد على طاعة القانون إنما يكرهه على أن يكون حرا في الواقع."[1] فالشاهد من هذا الكلام أن خضوع الفرد للقانون وطاعته لا يعني البتة فقدان للحرية، وإنما هذه الأخيرة هي مبدأ أساسي يجب على القانون المحافظة عليها إذ أن الحرية عند روسو كما سبق وذكرنا لا يمكن التخلي عنها لأنها حق مقدس.

إن القانون الذي تحدث عنه روسو هو أساس الإتحاد الاجتماعي فهو يحدد العلاقة بين الدولة ورعاياها أي الشعب فهو وضع لكي يضمن السلام والأمن للأفراد، وهذه القوانين تنفذها هيئة سياسية هي الحكومة حيث يقول في هذا الصدد: "**إني أنعت بالجمهورية كل دولة تسودها القوانين، كائنا ما كان شكل إدارتها، فإذاك فقط تحكمها المصلحة والعمومية ويكون للشأن العمومي شأن يذكر كل حكومة مشروعة إنما هي جمهورية**".[2] يتحدث هنا أن الحكومة سواءا كانت ديمقراطية أو أرستقراطية أو ملكية فهي تسمى دولة جمهورية، لأن الإرادة الشعبية تقودها ولأنها ساهمت في سن القوانين الذي وضعها الشعب وتخضع له الحكومة وتنفذه.

أكد روسو أن وجود الحكومة أمرا ضروريا فهي تحمي حقوق الأفراد وخاصة الحرية حيث يعرفها "أنها هيئة تتولى تنفيذ القوانين الصادرة عن الإرادة وصيانة الحريات المدنية، والممتلكات وهي هيئة لا سلطان لها، إذ السلطان الوحيد في المجتمع للشعب وحده، وهي

---

[1] – ديوارانت ، ول وايريل: قصة الحضارة (روسو والثورة) تر: أندراوس فؤاد، مرجع سبق ذكره، ص284.

[2] – روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: لبيب عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص122.

مفوضة فقط لتنفيذ القوانين التي تسنها الدولة."[1] مؤدى هذه النظرة أن الهدف المنشود من الحكومة والقانون عند روسو هو تجسيد دولة قائمة على الحرية وصيانة الحقوق، تقوم على الترابط والتحام أفرادها بعيدا عن الأنانية الناتجة عن الامتيازات الفردية، ومن خلال هذه الآليات التي تجسدت في فلسفة روسو هدف بواسطتها لتأسيس مجتمع يضمن حرية كل متعاقد في ضل دولة القانون وسيادة الشعب.

خاتمة:

لقد سجل روسو اسمه على مسار تاريخ الفكر كفيلسوف وسياسي ثائرا على أوضاع مجتمعه في القرن الثامن عشر، حيث شكلت مسيرته الأصيلة المتميزة الكثير من الإصلاحات في كافة المجالات، ومن خلال ما قدمه من أراء استطاع أن يقدم نظرية سياسية جديدة ذات وزن عالي تجسدت في العقد الاجتماعي وما تحمله من مبادئ كان الغرض منها رفع لواء الحرية كحق مقدس لا يمكن التنازل عنه، وهذا ما كان في ديباجة العقد "يولد الإنسان حرا"، ومن خلال هذا نطرح سؤالا كيف أصبحت دعوة روسو للحرية بندا هاما من بنود إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي؟ وكيف فتحت فلسفة وفكره أفاقا لعصر جديد؟.

[1] – عبد الله المعطي محمد، علي: تيارات فلسفية حديثة، مرجع سبق ذكره، ص452.

الفصل الثالث: أبعاد الفكر الروسوي

المبحث الأول: نتائج الفكر الروسوي على الفكر الغربي (الثورة الفرنسية)

1: أثر جان جاك روسو في قيام الثورة الفرنسية.

2: تأثير جان جاك روسو على إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي.

المبحث الثاني: نتائج الفكر الروسوي على الفكر العربي المعاصر

1: تأثير جان جاك روسو على المفكر فرح أنطون

2: تأثير جان جاك روسو على المفكر عبد الله العروي

3: النقد والتقييم

مدخل:

قليل هم الشخصيات التاريخية الذين سجلوا أسماءهم في قائمة أكثر الفلاسفة تميزا في المجالات السياسية والتربوية والاجتماعية، وبعد أكثر من قرين ونصف من وفات الفيلسوف روسو لا يزال يظهر تأثيره ومكانته البارزة في الفكر الإنساني والفكر الحديث معا، فطموحه لتخلص ولتصحيح المفاهيم السائدة في عصره، ومنادته بالحرية والمساواة كحقوق لا يمكن التنازل عنها، جعلت منه من مهندسي الثورة الفرنسية، حيث استند قادتها إلى كتابه العقد الاجتماعي 1762 الذي أحدث طفرة فكرية جعلتها أعظم الثورات في أوربا ضد الظلم والاستبداد، لتكون نتيجتها تقديس قيمة الإنسان في إعلان حقوق المواطن الفرنسي، لا يتوقف الأمر في الفكر الغربي وإنما ذاع صيت روسو في الفكر العربي من خلال تأثر مفكري العرب أمثال فرح أنطون ، وعبد الله العروي بتلك الحياة الفقيرة والعسيرة التي مرى بها روسو وبأفكاره التي كانت ضد الطغيان والظلم، وهذا ما سوف نتناوله في هذا الفصل.

المبحث الأول: نتائج الفكر الروسوي على الفكر الغربي (الثورة الفرنسية)

حملت فلسفة روسو الأثر الكبير على الفكر السياسي الفرنسي وفي تحريك الشعوب المتعطشة للحرية، وفي دعوته لزوال عهد الحكم الملكي الطاغي والعيش في كنف نظام جمهوري تعلو فيه الحرية والمساواة. فمؤلفاته أصبحت دليلا مرشدا لكل من أراد التخلص من الواقع المزري وأخص بالذكر"العقد الاجتماعي" الذي يعد "إنجيل لمعظم قادة الثورة الفرنسية"[1] لما حواه من مبادئ الحق السياسي و أساس عقائدي أستند إليه قادة الثورة في وضع حقوق الإنسان.

1. أثر روسو في قيام الثورة الفرنسية:

شكلت أفكار جان جاك روسو التي تنادي بالحرية، والمساواة ، والسيادة الشعبية، الأثر البالغ على الشعب الفرنسي حيث "لعبت دورا مرموقا في مدى انتشار قواعد العقد الاجتماعي انتشار منقطع النظير فهو الذي مهد للثورة الفرنسية، حيث كان خطباء هذه الثورة وقادتها يستشهدون بفقرات من فلسفته ووصفها إنجيلها." [2] يعد الفيلسوف روسو المنظر للثورة الفرنسية وذلك لتأثره بالوضع الذي كان سائدا في فرنسا من ظلم واستبداد وتسلط الكنيسة، فأدى إلى انتهاك الحقوق الطبيعية، فكانت هذه الأخيرة المطلب الأساسي الذي حرك نفوس الشعب الفرنسي للمطالبة بحقوقهم المقدسة.

[1] – رسل ، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي ، مرجع سبق ذكره، ص247.

[2] – فضل الله، محمد إسماعيل: نظرية القانون الطبيعي، مرجع سبق ذكره، ص149.

نجحت أفكاره ولاقت إيجابية كبيرة في الثورة التي أحدثت تغيرا في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية حيث "انتهت بقلب نظام الحكم الملكي في فرنسا إلى نظام جمهوري، وأما كونها اجتماعية فلأنها أدت إلى إلغاء امتيازات الأشراف ورجال الدين ومحت الفوارق التي كانت قائمة بين طبقات الشعب الفرنسي وجعلت فرنسا كلها طبقة واحدة، وأما كونها اقتصادية فلأنها غيرت نظام الظرائب وانتزعت أملاك الكنيسة وجعلتها ملك الأمة."[1] خروج فرنسا بهذه النتائج ما هو إلى تعبير عن البوادر الفكرية التي دعى إليها الفلاسفة وأخص بالذكر روسو إذ شكلت دعوته للحرية وقودا للثورة الفرنسية.

لقد تبنت الثورة جزءا من نظرية روسو ولكن لم تقبل أن الفرد، عندما يدخل في الحالة الاجتماعية يقوم بالتنازل عن حقوقه الطبيعية. فلا يمكن للإنسان فى رأى بعض من رجال الثورة أن يتنازل عن حريته، لأن هذا الحق لا يقبل التنازل عنه، وهذا يخالف ما قال به روسو وهو أن الفرد يكتسب من إقامته في الدولة، نوعا من الحرية وهي الحرية المدنية والعقائدية التي تقوم في إطاعة القوانين، ويرد عليه رجال الثورة بأنها حرية عجيبة، وهي حرية طاعة القوانين بعد التنازل عن حريته، ولذلك فإن شعار الحرية هو هدف في الثورة الفرنسية، وهو أن الإنسان يعيش حرا.[2] ويعني هذا أن الحرية التي تغنى بها في عصره كان هدف تبنته الثورة وسعت إلى تحقيقه من أجل بناء مجتمع جديد حيث أوضحت مطالب الحق للشعب الفرنسي.

---

[1]– جلال، حسن: الثورة الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص02.

[2] - عوض، بالقاسم علي يونس، دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية، جامعة عين شمس، قسم الفلسفة، كلية الآداب، القاهرة، مصر، 2016، 2017، ص 18.

"إن نظرية العقد الاجتماعي كما تصورها روسو قد جلبت للفلسفة الثورة الفرنسية فكرة الأساس الحقوقي للدولة، وهي إذ تحتج بحقوق الشعب قد أعلنت سيادة الشعب يعلنون أن حقوق الفرد غير قابلة للتخلي عنها ولا تبطل بتقدم الزمن، ويجعلون الغرض الرئيسي لسلطة الدولة المطلقة صيانة هذه الحقوق والدفاع عنها."[1] إن المبادئ التي قدمها في نظريته العقد الاجتماعي كانت لها الأثر البارز في الثورة حيث أصبحت بالنسبة لهم بمثابة ملامح أساسية لا بد على الدولة أن تراعيها ضد أي طغيان واستبداد للحكم، وأن وحدة الشعب وسيادته هي الأساس في ممارسة السياسة.

"يكمن المغزى الفريد للأثر الذي أحدثه روسو في الثورة الفرنسية، فهو لم يوضح مفاهيم الحق الطبيعي على الصعيد النظري فحسب، بل وبعث فيها حياة جديدة وأعطاها محتوى عاطفي، فهناك الدولة القائمة على عقد وسيادة الشعب من جهة، والإنسان كما صنعته الطبيعة من جهة آخرى، في قيمته كإنسان كما أن هناك الشعب الذي يضم جميع المواطنين والذي تتمركز فيه أفكار كل فرد وعواطفه."[2] وهذا يعني أن رؤى روسو في الدولة وسيادة الشعب، وقيمة الإنسان الطبيعي الصالح البعيد عن الأنانية، وبموجب العقد الاجتماعي الذي يتيح للفرد التفاني في سبيل الجماعة أحدث أثره بالنسبة للثورة حيث رفع شعار الشعب مصدر للسيادة وهو تعبير عن الديمقراطية بدل الحكم الملكي المستبد، وأن المواطن يعيش حرا في ضل الجماعة.

---

[1]– غروتوويزن ، برنار ، فلسفة الثورة الفرنسية، تر: عصفور عيسى ، مرجع سبق ذكره، ص212.

[2] –المرجع نفسه، ص214.

لطالما كان روسو نصير الشعوب الضعيفة والفقيرة حيث كان صوت الشعب ودفاعه عن هذه الفئة أصبح لها صدى بعد الثورة وهذا لأن هذه الشعوب أصبحت لها السلطة المطلقة "وإنها يجب أن تكون واحدة، وأن تكون كلا حيا تحييه روح واحدة، والفكرة التي تكونها عنها تغدو أكثر دقة في الصراع بين الطبقة الثالثة والطبقتين المتمتعتين بالامتيازات إن الأمة هي الطبقة الثالثة."[1] ويتضح هنا أن الشعب الذي كان ينظر له على أنه ذاك العبد الذي مهمته تنطوي فقط على خدمة الرؤساء غدا له مكانة بعد الثورة وأن السيادة ترجع له فقط وهذا ما يحقق الديمقراطية.

2. تأثير روسو على إعلان حقوق والمواطن الفرنسي:

استلهمت الثورة الفرنسية الخطوط العريضة للنظم التي تبناها روسو في كتاباته السياسية والتي تجسدت في وثيقة رسمية سميت الإعلان الفرنسي للحقوق والمواطن الفرنسي حيث كشف هذا الأخير التأثر الإيجابي بفلسفة روسو في جعل كل من " فلسفة الحق، المساواة، القانون، الإرادة الشعبية، والحرية وغيرها من المفردات التي شكلت عناوين كبرى لإعلان مبادئ حقوق الإنسان من طرف الجمعية الوطنية لممثلي الشعب."[2] ما يوضح أن المبادئ التي ناضل عليها روسو طوال حياته والتي كانت في ثنايا كتبه السياسية أصبحت المرجع الأساسي للثوار القادة الفرنسية.

---

[1] –غروتويزن ، برنار: فلسفة الثورة الفرنسية، تر: عصفور عيسى ، مرجع سبق ذكره، ص218.

[2] – زيان، محمد: قيم المواطنة في الفكر السياسي الحديث والمعاصر جان جاك روسو أنموذجا، مرجع سبق ذكره، ص229.

جاء نص الإعلان لكي يوضح "أن كلمتي ممثلي الشعب الفرنسي اتفقت على أن تناسي حقوق الإنسان واحتقارها كان سببين رئيسين في إذلال الشعب وشقائه وإلقاء بذور الفساد والفوضى في الجهاز الحكومي. فقرروا نشر حقوق الإنسان الطبيعية وإعلانها بين جميع أفراد الشعب ليتسنى لكل مواطن معرفة حقوقه وواجباته."[1] ويعني هذا أن حقوق الإنسان التي أصدرتها الثورة كان الغرض منها الدفاع عن الحقوق الطبيعية للشعب وعلى أن جميع الناس متساوين في الحقوق، وتأدية الواجبات للتخطي ذلك الفساد الذي نتج عن الحكم المستبد والظلم، الذي عانت منه فرنسا قبل الثورة.

أكدت الثورة الفرنسية بمنظور هذا الإعلان "أن الحرية والمساواة لم تعودا تبدوان كمثل عليا أو أوهام. إنهما حقان منحناهما وتوطدا على أنهما بشكل عام ملازمان للإنسان فلا يمكن سلب إياهما كما لا يكمن أن يأتي عليهما النسيان من جديد لقد أنقضت عهود الاضطهاد والآلاف من السنين قد خضعوا إلى استبداد بعض الأفراد وتحملوا بصبر هذا الظلم كله فإن لذلك سببا وحيدا هم أنهم لم يكونوا يعرفون حقوقهم."[2] يشير هذا الكلام إلى الأساس الذي قدمه روسو من خلال ربطه بين الحرية والمساواة في بناء الدولة الشرعية ونفيه لمظاهر الاستبداد والعبودية التي كان يرفضها في عصره، وهو دليل على تأثر مضمون هذه الوثيقة بتنظير روسو للحرية على أنها حق مقدس لا يمكن الاستغناء عليها.

---

[1] –جميل، حسين: حقوق الإنسان في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، دط ، بيروت لبنان، 1986، ص18.

[2] – غوتويزن ، برنار: فلسفة الثورة الفرنسية، تر: عصفور عيسى ، مرجع سبق ذكره، ص152.

وما يثبت هذا الكلام أن الإعلان الفرنسي جعل المادة 1 و2 تتصان على الحرية حيث جاء في "المادة الأولى (الناس ولدوا أحرار متساوين في الحقوق وسيبقون كذلك) أما المادة الثانية فقد أكدت على حفظ الحقوق الطبيعية، الحرية، والملكية، والطمأنينة، ومقاومة الاضطهاد."[1] أصبحت وثيقة حقوق الإنسان التي أصدرتها الثورة بمثابة نبراس الحرية يهتدي بها شعوبها، حيث عبرت هذه الوثيقة في مادتها الأولى على ديباجة كتاب العقد الاجتماعي لروسو "يولد الإنسان حرا" أي مطابق لكلامه ودفاعه عن هذا الحق الطبيعي.

إن الهدف الذي سعى إليه روسو في بناء دولة السيادة الشعبية ووحدة القانون الذي يعبر عن الإرادة العامة هو من الشعب وللشعب وهو ما تجسد في المادة الثالثة "كل سلطة مصدرها الشعب وحده ولا يحق لأي فرد أو أية جماعة أن يأمروا أو ينهوا إلا إذا استمدوا السلطة من الشعب. وفي المادة السادسة أن القانون هو مظهر الإرادة العامة للأمة ولأهل البلاد جميعا."[2] وهذا يعني أن مضمون الإعلان أعتمد على سياسة روسو في مصدر السيادة هو الشعب وحده وأن جميع المواطنين يمارسون حقوقهم السياسية وبكل حرية، حيث جعلها مبادئ وأساسيات تجسدت فيما بعد في الدساتير لبناء دولة جديدة تقوم على الحرية الديمقراطية.

[1] –عامر السوداني، أنسام: فلسفة حقوق الإنسان هوبز ، لوك ، مونتيسكو ، روسو، مرجع سبق ذكره، ص147.

[2] –جلال، حسن: الثورة الفرنسية، مرجع سبق ذكره، ص137.

المبحث الثاني: نتائج الفكر الروسوي على الفكر العربي المعاصر.

كان الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو من أوائل الفلاسفة الذين لهم الحضور بين أوساط المفكرين العرب حيث "جرى تلقي روسو عربيا ودراسة هذا التلقي، بشكل على أساس انتماء روسو إلى الفكر التنويري الفرنسي أو الغربي في القرن الثامن عشر، ولم ينبه غالبا بشكل واضح وكاف إلى الاختلاف الكبير بين أفكار روسو وأفكار التنويريين الفرنسيين عموما، وأفكار الموسوعيين منهم خصوصا، فروسو كان من نقاد أو منتقدي قيم عصر التنوير، بقدر ما كان من المساهمين في الدعوة إليها وتأسيسها وشيوعها."[1] على هذا الأساس كان تأثير روسو في الفكر العربي كونه يكشف عن فلسفة تنويرية ناقدة للأوضاع السياسية والاجتماعية وهذا لغرض الاستفادة من تلك الأفكار وتجسيدها في مجتمعنا اليوم.

1. تأثير روسو على المفكر *فرح أنطون:

"لقد كان فرح أنطون شديد الشغف بالآداب الفرنسية فأكب على مطالعة مصنفاتها وأعمالها ويخبرنا عن نفسه أنه صرف عمره في درس الفرنسية، وقرأ فيها مالا يقرأه غيره في مائة سنة، ولقد تأثر بشكل خاص بالفيلسوف والمفكر الفرنسي الحر جان جاك روسو."[2]

---

[1] – درويش، حسام الدين: جان جاك روسو الاعتراف تمهيد في مشروعية دراسته فلسفيا وعربيا، مجلة تبين، المجلد3 ، العدد10 ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014، ص23.

***فرح أنطون**: سوري ولد في طرابلس الشام، أصدر بالإسكندرية مجلة الجامعة لمدة سبع سنوات، شارك في تشكيل الفكر المصري كانت له مساجلات مع أقطاب الفكر المصرين وخاصة محمد عبده، ألف مسرحية مصر الجديدة وأبو الهول يتحرك..إلخ ، أنظر: الحنفي عبد المنعم: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، جز2 ،مكتبة مدبولى ، ط 3، القاهرة، 2010، ص960 ، 961.

[2] – حسن القدرة، عبد العال: تأثير جان جاك روسو على فرح أنطون (دراسة مقارنة) ، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الأول، ، 2002، غزة فلسطين، ص215.

يحيلنا هذا الكلام أن فرح أنطون يعد من أوائل المعجبين بالفكر الغربي عامة، والمتشبعين بالثقافة الفرنسية، حيث تأثر بالثورة الفرنسية وبروسو بشكل كبير وهذا في الكثير من كتاباته.

"تنوعت أشكال التأثير الروسوي في كتابات فرح أنطون ومضامين هذا التأثير يشمل الجانبين الأساسيين لهذا الفكر الإنشاءات العقلية والإنشاءات الذاتية، فالجانب يحيل بالدرجة الأولى إلى "الخطابين"، و "إميل" و"العقد الاجتماعي" في حين يتضمن الجانب الثاني بشكل خاص، مايمكننا تسميته ثالوث السيرة الذاتية لدى روسو."[1] وهو ما يعني أن فرح أنطون كان قارئا مستلهما لجميع مؤلفات روسو في جميع المجالات السياسية، والاجتماعية ، والتربوية وفي ما يلي نعرض أشكال هذا التأثر.

أ. تأثير إميل أو التربية لروسو على فكر فرح أنطون:

كان تأثير "**إميل**" على فكر أنطون من خلال موضوع الدين الذي أخذ نصيبا كبيرا من الاهتمام عنده ويتجلى ذلك في قول روسو "ليس على الإنسان أن يتعصب لدينه أو معتقده، فإن التركي الذي يسكن إستنامول لو قدر له أن يولد في أسرة باريسية متعصبة، لكان كاثوليكيا متعصبا، وفي المقابل فإن الباريسي لو ولد في إستنامول في أسرة مسلمة محافظة، لكان مسلما متعصبا، ومن هنا فإنه لا ينبغي لنا أن نتعصب، ويجب علينا أن ننادي بضرورة الإخاء بين البشر، والمحبة والحق والفضيلة، أما بالنسبة لي شخصيا فإنني أفضل

[1] – درويش، حسام الدين: جان جاك روسو الاعتراف تمهيد في مشروعية دراسته فلسفيا وعربيا ، مرجع سبق ذكره، ص31.

أن أترك الأديان جانبا وأن أتبع الديانة الطبيعية."[1] يشير موقفه من خلال المعتقد الديني أنه كان يؤمن أنه رغم اختلاف الأديان بين البشر فإن مرجعها خالق واحد ولا يؤدي البتة إلى التعصب بين المسيحي والكاثوليكي والإسلامي، لأن هدف الدين هو نشر السلام والمحبة، وبالتالي فهي مسألة فردية وفي آخر كلامه نجد روسو يمجد مرة أخرى قانون الطبيعة في الدين ليؤكد أن طريق ديانته هي الطبيعة.

يستند في المقابل فرح أنطون إلى الدين الطبيعي عند روسو ليؤكد على فكرة التسامح بين البشر ونبذ التعصب الذي أحدثه اختلاف الديانات وهذا ما جاء في قوله: "يعتبر الدين المكان المناسب للأفراد، فهو مكان للسلام، ففيه توجد السعادة، والراحة، والأخوة، والمساواة، فهو يساعد الأفراد على نسيان كل النزاعات، حيث ينسى الإنسان كل مشاكله وكل مصائبه سواءا كانت صغيرة أو كبيرة حتى ولو كان يعلم بها."[2] وهو ما يدل على التأثير الواضح لروسو على أنطون حيث يؤكد هذا الأخير أن على الدين أن يجمع البشر على السلام والراحة بغض النظر عن طبيعة الدين الذي تنتمي إليه وهو مشابه لمضمون دين روسو دين الحق والعدالة والتسامح بين الجميع.

أعتبر فرح أنطون أن الإصلاح الحقيقي الذي يكفل قيام مجتمعنا الحديث ينطلق من التربية والتعليم وتحرير المرأة إذ نجده يتأثر بروسو في هذه المسائل وهذا ما أورده في إحدى مقالاته في مجلة الجامعة التي أصدرها تحت اسم **تربية المرأة** حيث يأخذ كلمة تنسب إلى

---

[1] –حسن قدرة، عبد العال: تأثير جان جاك روسو على فرح أنطون، مرجع سبق ذكره، ص218.

[2] –كرانيف فاطمة الزهراء، بلقاسمي ربيعة: النزعة العلمانية في مفهوم التنوير عند فرح أنطون، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، جامعة جيلالي بوعمامة ، خميس مليانة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2016،2017، ص75.

روسو والذي يقول فيها "يكون الرجال كما يريد النساء، فإذا أردتم أن يكونوا عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة."[1] نلمس هنا تأثره من خلال فكرة المرأة فقراءته لنصوصه واستشهاده بها في كتبه جعلته يقتبس هذا النص من روسو ليؤكد على أهمية "تعليم المرأة".

يشرح فرح أنطون هذه المقولة بإعطاء براهين وأدلة حيث يقول:" إن المرأة متسلطة على الرجل فتجعله كما تريد وهو قول فاسد وصحيح معا، يكون فاسد لدى كل الامم إذا اعتبرناه من حيث الظاهر، ويكون صحيحا لدى كل الأمم أيضا إذا اعتبرناه من حيث الحقيقة الطبيعية."[2] نلاحظ هنا أن فرح أنطون اعتبر أن الفساد يكون في تسلط الرجل على المرأة وهو ما يجري في وطننا العربي بشكل خاص نتيجة للجهل، بالإضافة إلى رؤية الدين بطريقة خاطئة وأكد أنطون نتيجة تأثره بالثقافة الغربية أن المرأة تكون متسلطة على الرجل وذلك أدبيا واجتماعيا أولا لأنه يجب تعليمها ولكونها قادرة على القيام بوظائف التربية العائلية أكثر من الرجل وهو ما كان يهدف إليه أنطون من خلال تعليم المرأة وتحريرها وإعطاءها مكانة في المجتمع.

---

[1] – عجيل منهل، علي: المفكر فرح أنطون ومفهوم التساهل والتسامح وتحرر المرأة، مجلة الحوار المتمدن، العدد 3085، السنة 2010، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=224838&nm=1 أطلع عليه يوم (2020/05/12).

2 – حسن قدرة، عبد العال: تأثير جان جاك روسو على فرح أنطون ، مرجع سبق ذكره، ص220.

ب. تأثير خطاب روسو (عدم المساواة) على فكر فرح أنطون:

لطالما تغنى روسو في فلسفته بالإنسان الطبيعي وبتمجيد الحالة البدائية الأولى وكيف غيرت المدينة من حياة الإنسان إذ يقول في هذا الصدد كما ورد في خطابه: "**فقد أصبحوا فقراء دون أن يخسروا شيئا لأنهم ضلوا على حالهم لم يتغيروا في حين تغير كل شيء حولهم ولذلك اضطروا إلى قبول أقواتهم وإلى اغتصابها من أيدي الأغنياء ومن هنا بدأت السيطرة والعبودية في النشوء، وكذلك العنف والنهب تبعا لطبائع البشر**".[1] أورد روسو هذا الكلام لكي يوضح بأن انتقال الإنسان من حياة البساطة والقناعة التي كانت تسود الحالة الطبيعية، إلى حياة الفساد والظلم وهي عصر المدينة، إلى تغير في طبائع البشر بحيث عمت مظاهر السرقة والنصب والقتل.

يضيف أيضا في قوله: "**أن ما يأتيه الأغنياء من اغتصابات والفقراء من أعمال لصوصية ، وكذلك الأهواء الجامحة لدى الجميع وقد قتلت فيهم التحنن الطبيعي وأخرست صوت العدل وهو لا يزال خافتا، كل ذلك قد جعل البشر بخلاء وطماحين وأشرارا، وكل نزاع دائم يثور بين حق الأقوى وحق المتحوز الأول ولا ينتهي إلا بمعارك ومذابح لقد أفسح المجتمع الناشئ المكان لحالة حرب هي أفظعها**".[2] يشير هنا أن الحياة المدينة التي يعيشها الإنسان حولت المساواة الطبيعية إلى فوارق وتفاوت بين البشر، إذ أصبح القوي يسيطر على الضعيف والغني يأخذ مال الضعيف كل هذا خلق ما أسماه روسو "مكان للحرب"

---

[1] –روسو، جان جاك: خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، تر: بولس غانم، مصدر سبق ذكره، ص133.

[2] – المصدر نفسه، ص133.

نجد النقطة التي أشرنا إليها سالفا والتي تحدث فيها روسو هي مصدر تأثير على أنطون وهذا في خطبة لدى"شلال نياجرا" يقول فيها: أتذكر أيها الشلال يوم كان شاطئك مرتعا لأولئك الهنود المساكين قبل أن يصل إليك البيض ويغتصبوا أرضهم هذا ضلما وعدوانا؟ لا ريب في أنك تذكره لأنك كنت فيه معبودهم ، فأولئك السذج المساكين الذين كانوا يصطادون من مياهك عراة الأبدان وتحمل أيديهم الفؤوس والحراب، ويعيشون بالغزو والسطو كانوا أسعد حالا من هؤلاء البيض الوافدين على شاطئيك وقد ملئوها بالمدن والمنازل الفاخرة وراحوا بمنجزاتهم يتبخترون مثل الطاووس وصدقني أيها الشيخ أن أولئك كانوا أسلم طبعا وأبعد عن الخبث من هؤلاء.[1] يشير فرح أنطون أن الحياة التي كان يعيشها شعب الهنود حياة بسيطة حرة ، وهي نقطة نجد فيها أنه متأثر بكلام روسو حول حياة البساطة أي **(**حالة الطبيعة**)** إلا أنه يعتبر أن هذا الحال لم يدوم بعد سيطرت واحتلال أرضهم من طرف شعب "**البيض**" كما وصفهم، حيث عملوا على تغير في البلاد وجعلوا من شعبها الأصلي مجرد عبيدا لهم وهذا الأخير حسب أنطون خير وطيب من الوافدين الأشرار والخبث.

نستنشف من هذا أن لحظة فرح أنطون تتلاقى أفكارها بأفكار روسو حيث أن خطبة أصل **عدم المساواة** لروسو يتحدث فيها عن **الإنسان الطبيعي** وعن الحياة الهنيئة بعيدا عن عصر المدينة، وعن المفاسد الأخلاقية والشقاء الذي يعيش فيها، في حين خطبة فرح أنطون لدى **شلال نياجرا** نجده يتغنى بسكان الأصلين وهم **الهنود** وبحياتهم البسيطة وذلك قبل أن يتم احتلالهم من قبل الشعب **الأبيض.**

---

[1] –حسن قدرة، عبد العال: تأثير جان جاك روسو على فرح أنطون، مرجع سبق ذكره، ص227.

2. تأثير جان جاك روسو على عبد الله العروي:

رأينا سابقا أن فلسفة وأفكار روسو كانت مصدر تأثير على المفكر العربي فرح أنطون إلا أنها لم تتوقف عند هذا الأخير حيث نجد مفكر عربي آخر وهو عبد الله العروي حيث تعتبر "اللحظة المهمة الثانية في تفاعل العرب مع فكر روسو تتمثل في ترجمة عبد الله العروي نص دين الفطرة الذي يشتغل القسم الأكبر من كتاب الرابع في **إميل**."[1] تعتبر محطة العروي من أبرز المحطات العربية التي تعامل بها العرب مع المفكر الفرنسي روسو وأفكاره حيث تجلى هذا التلقي في ترجمته للجزء الرابع من كتاب إميل بعنوان عقيدة قس جبل السافوا ليكون معنون ب "**دين الفطرة**"

"تظهر راهنية روسو عربيا أو إسلاميا بالنسبة إلى العروي في تأكيده منذ الصفحة الأولى للتقديم أنه لم يختر نقل هذا النص إلى اللغة العربية اعتباطا وإنما جاء هذا الاختيار بناءا على خطة نقدية، تنطلق من اعتقاد دائم لديه بأن الفكر الغربي كان قريبا من تمثل الفكر الإسلامي في منتصف القرن الثامن عشر فقط لا قبل ذلك ولا بعده."[2] ما يبين بأن عبد الله العروي كان قاصدا الترجمة لنص روسو وهذا من أجل توضيحه لبعض المشكلات

---

[1] –درويش، حسام الدين: جان جاك روسو والاعتراف تمهيد في مشروعية دراسته فلسفيا وعربيا، مرجع سبق ذكره، ص33.

** **عبد الله العروي**: مؤرخ ومفكر فلسفي ماركسي مغربي، تحصل على شهادة دكتوراه دولة، بحث في علاقة الفكر العربي بالفكر التاريخي، فخاض في الخطاب الإسلامي من الثقافية ومجال الثقافة العربية المعاصرة، حاول التسليط على مشكلات في العالم العربي الحديث وقد وجد السبب الأساسي هو المفهوم الخاطئ للدين من مؤلفاته الإيديولوجية العربية المعاصرة، أزمة المثقفين العرب، العرب والفكر التاريخي...الخ ، أنظر أبو رغيف الموسوي، رحيم: الدليل الفلسفي الشامل، جز2 ، دار المحجة البيضاء، ط1 ، بيروت، لبنان، 2013، ص ص230-229.

[2] – درويش، حسام الدين جان جاك روسو والاعتراف تمهيد في مشروعية دراسته فلسفيا وعربيا، مرجع سبق ذكره، ص33.

الموجودة في العالم العربي، إذ ينطلق من أن أفكار روسو تمثل منعطفا هاما في منتصف القرن 18 وهو المنعطف الفكري الوحيد الذي نجد فيه اقتراب الفكر الغربي من تمثل الفكر الإسلامي.

يشير العروي أن ما يجمعه مع روسو هو أن هذا الأخير لم يتحدث عن الدين بحد ذاته "وإنما على الهموم الدينية باعتبارها أنها ملائمة للإنسانية ويقول العروي بما مفاده أن روسو انتبه إلى الهم الديني وضرورة إيجاد مخارج له على مستوى النظري... والدفاع عن البعد الذاتي في المسائل الدينية ..وإن الهم الذي عاد بعد أن غاب إن قدر له أن يغيب فهو لا محالة عائدا."[1] هذا ما يدل على أن عبد الله العروي كان معجبا ومتأثرا بأفكار روسو وخاصة من خلال موقفه من الدين وتأكيده على أنها مسألة فردية شخصية ليست لها علاقة بالجبر والقسر، وإنما مرتبطة بحرية المعتقد، وحاول ربط هذا الكلام بمجريات الواقع العربي على غرار أن دين الفطرة نقل للعربية جاء على هامش الأحداث التي عرفها الوطن العربي.

يؤكد روسو أن الهدف من التربية الدينية كما جاءت في "عقيدة القس من جبل السافوا لكي تتناول موضوع الإيمان الديني وذلك في سياق التفكير في التربية والتربية الدينية داخل المجتمع، حيث يعتقد روسو أنه يمكن أن يعلم الأطفال بعد تجاوزهم خمسة عشر عاما ما يوضح مسألة العلاقة بين الخلق والخالق ويركب في خطابه عقيدة بسيطة منافية للتعصب

[1] –معروف، محمود: أفكار روسو التنويرية وتمثلاتها في الجدل السياسي العربي، أصداء عربية، الرباط،2012. https://www.swissinfo.ch/ara/culture/32983534 ، أطلع عليه يوم (04/05/2020) .

ومؤدية إلى نوع من التهذيب المساعد في تكوين المواطنين وبناء مجتمع متجانس."[1] وهو ما يعني به روسو أن التربية الدينية تسعى إلى تحرير الذهن من الأفكار السابقة، فيجب أن يلقن التلميذ هذه التربية في سن متأخرة وبدل هذا يتم تلقينه عقيدة بسيطة ومهذبة خالية من التعصب وهذا لهدف تكوين مجتمع جديد.

يقول عبد الله العروي من خلال نص روسو "**اكتفيت بنقل النص لروسو إلى العربية بصفة محايدة إذ يعتبر موضوع الكتاب تقليدي بالنسبة للقارئ العربي، المسلم وغير المسلم يقرأ ردود روسو على الفلاسفة المادين فيستحضر في الحين الغزالي وكتابه تهافت الفلاسفة، يقرأ نقده لليهودية والنصرانية فيتذكر ابن حزم وكتابه الفصل، يقرأ تخيله فردا يعيش وحيدا في جزيرة منعزلة فيسترجع ابن طفيل وقصة حي بن يقضان، يقرأ كلامه عن دين الظاهر ودين الباطن، وعبادة الجوارح والقلب فيستذكر في الحين أقوال ابن رشد ومحمد عبده ومحمد إقبال**".[2] يبين العروي بأنه نقل عقيدة روسو بطابعها الفكري الغربي فقط بالاكتفاء بنقلها إلى العربية مثلما يرفض القيام بأي ممارسة تأويلية للكتاب إلى المفاهيم الدينية الإسلامية، ويعتقد أيضا أنه عندما يقرأ ردود روسو على الفلاسفة المادين وإنكاره لإرجاع الأمر للمادة في حين يرى أن هذه الردود تذكره بالكتب العربية أمثال كتب الغزالي ومحمد عبده.

---

[1] – عبد اللطيف، كمال: لماذا ترجم عبد الله العروي نص دين الفطرة لروسو؟، مجلة تبين، المجلد1 ، العدد1 ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012، ص 212.

[2] – روسو، جان جاك: دين الفطرة ، تر عبد الله العروي ، المركز الثقافي العربي، ط1 ، بيروت لبنان، 2012، ص18.

يعتبر العروي أن نص روسو يتضمن مفهوما هاما يفتقده نصوص المفكرين الإسلاميين وهذا ما أشار إليه بابن رشد حيث اعتبر أن المسلك للوصول إلى الحقيقة ومعرفة الذات الإلهية تكون بالحكمة والشريعة في حين روسو اعتبر أن الوجدان هو مصدر الحقيقة الإيمانية إذ يعرفه بأنه "**الغريزة الربانية أو نور الضمير هو الذي يسير آلة العقل وهو مقر الإيمان**". [1] فالشاهد من هذا الكلام أن روسو يعتبر الوجدان الوسيلة للوصول للحقيقة الدينية بعيدا عن العقل وعن الآراء التي يمكن أن أتبعها من الفلاسفة، نلاحظ من خلال روسو أن إرجاع الإيمان إلى الوجدان بهدف التأكيد على موقفه من العقيدة وبأن كل فرد منا يمتلك الحرية في الدين.

بين العروي من خلال نص دين الفطرة أنه يرجح على لسان القس مبدأ الضمير على مبدأ العقل من خلال قوله "**مرجعه في حكم ضميره نور وجدانه الذي عمل القس على تصنيفه من شوائب الإتباع والتقليد، حتى يضل بريئا، نقيا صافيا كما خرج إلى الوجود، وحتى ينعكس فيه مباشرة وبصدق، خطاب الصانع الأول**".[2] ما يعني بأن الوجدان ينطلق من مبدأ الضمير الحر للفرد الذي برأيه دليل صادق على الإيمان بعيدا على الجبر والتقليد لأن مصدر الطبيعة يوحي إذن أن روسو يشيد بأوامر وقوانين الطبيعة في الدين بعيدا عن قوانين البشر.

---

[1] – روسو، جان جاك: دين الفطرة، تر: عبد الله العروي مصدر سبق ذكره ، ص30.

[2] – المصدر نفسه ، ص17.

يؤكد العروي أن النص يحتوي على نصائح يقدمها القس في جبل سافوا لشاب تحت ظروف صعبة ومضطربة "**إذ يحثه القس لتنوير عقول العامة وتخليصها من الشبهات الفلاسفة وأوهام الكنائس حتى لا تنهار الأخلاق مع تناسي طقوس الدين**".[1] وهو ما يشير إلى العقيدة التي تكلم عنها روسو والتي تنتقد أوهام الكنيسة وتواجه تقليد أراء الفلاسفة أي مبدأها البساطة والصدق.

يشير أيضا أن العقيدة الموجودة في الكتاب يمكن الاستفادة منها من خلال "**تخيل إماما جبليا مر بتجربة وجدانية مماثلة للتي يحدثنا عنها روسو، عايش مجتمعا قلقا مضطربا كالمجتمع الذي يصفه لنا فيرسم لنفسه كما فعل روسو عقيدة بسيطة، بينة، صادقة توفق بين العقل والوجدان، تضمن للفرد الطمأنينة وللمجتمع الوحدة والاستقرار**".[2] أي أن العقيدة التي ينص عليها روسو يمكن الاستفادة منها، وهذا في خضم ما يجري في مجتمعنا كونها عقيدة سمحة بسيطة، تنطلق من الطبيعة توحد بين مبدأ العقل والضمير الأخلاقي عند الإنسان وإلى نبذ التعصب بين الأديان.

يقول عبد الله العروي في هذا الصدد على لسان روسو "**وعيا مني بهذه التصورات لن أجادل أحدا قط في الرب**".[3] وهو ما يعني أن المجادلة التي تؤول إلى إثبات وجود الله كأين هو، وما هو جوهره، لا فائدة منها سوى الاستخفاف بقدرة الله، وهو الهدف الذي يرمي إليه

---

[1] – روسو، جان جاك: دين الفطرة، تر: عبد الله العروي مصدر سبق ذكره، ص133.

[2] – المصدر نفسه، ص06.

[3] – المصدر نفسه، ص48.

عبد الله العروي في مجتمعنا اليوم أن التكلم في أمر الله ما هو إلى التضليل في قدرة الله وبدل التفكير في ماهية الرب وهو أمر وجداني أن نتكلم في ماهية الإنسان.

هدف عبد الله العروي من خلال نقل نص جان جاك روسو إلى العربية إلى تبين "أن ما هو قوي في نص روسو يتمثل في إبراز الضمير، ضمير الفرد الحر، وإلحاحه على الصدق والصراحة في باب الإيمان ثم يضيف أن أحاديث القس الجارية بلسان روسو عن الدين الفطري، وطبيعة الإيمان لم تكن تعالج موضوعا مجرد في الدين، إن موضوعها المركزي هو الهم الديني أسئلة الدينية في مجتمعنا اليوم."[1] يرى العروي أنه يمكن أن نستفيد من نص روسو في مجتمعنا من خلال عقيدة حرة مبدأها البساطة والفطرة، بعيدا عن كل التعقيدات التي نجدها في عالمنا العربي.

3. النقد والتقييم

لقد وسمت على فلسفة جان جاك روسو جملة من النقائص التي شكلت بذلك انتقادات تخللت مشروعه الفكري ولعل من أهمها:

ما تكلم عنه روسو في كتاباته عن الحالة الطبيعية وكونها حالة الحرية التي فقدها الإنسان بمجرد دخوله إلى المجتمع، وما قدمه كبديل يصلح حالة البشر وهو العقد الاجتماعي، الذي تعرض للنقد من طرف الكثير على أنه "ليس هناك ما يضمن أن تلتزم الأغلبية النفع العام والعدالة بين الجميع، وكم رأينا الأغلبية تخطئ وتستبد أشنع الاستبداد

[1] – عبد اللطيف، كمال: لماذا ترجم عبد الله نص دين الفطرة لروسو؟، مرجع سبق ذكره، 216.

حتى في أقدس الأمور وهي العقيدة الدينية فتتكر تلك العقائد المتواضعة التي اعتبرها روسو أساسية، ... ويقدس إرادة الأغلبية ويطالبنا بالإذعان لها كأنها الإرادة الإلهية، يقيم ضربا من الاستبداد هو شر ألف مرة من استبداد الفرد."[1] يوحي هذا الكلام أن الميثاق الذي قدمه كدعامة لإصلاح المجتمع من الفساد ما هو إلى بديل للتمرد والطغيان والفوضى عند منتقديه.

ما يحسب على روسو أنه كان يقول أن "حالة البراءة الأولى أفسدها الاجتماع ويمكن إصلاحها بالعقد الاجتماعي والتربية الملائمة، وقد ظن أن الحالة الأولى يجب أن تكون من البساطة والسذاجة بحيث تعتبر لوحا مصقولا غفلا من العلم والفن والأخلاق، بل معارضة لها وقدم هذه الحالة أولا على أنها مجرد فرض، ثم رآها فرضا لازم لتفسير الإنسان ثم اعتبرها واقعة تاريخية، وهذا تدرج في الإبهام أو التوهم تعزوه الدقة والمنطقية."[2] ما يدل على تأكيده أن الحالة الطبيعية ما هي إلا جملة من الخصائص التي تميز الإنسان، فهو بريء وحر، ويخلو من كل مظاهر الفساد، إلا أن في تأكيده على هذه الخصائص دخل في موجة من التناقض، لأنه لم يبين موقفه إذ هي مجرد افتراض أو واقعة تاريخية، وهو ما اعتبره البعض على عدم وجود دقة منطقية في هذه الحالة.

ومن ملامح تناقض روسو كذلك في " تصوره لمفهوم الدولة الحديثة ووضع أساس المجتمع والسياسة الديمقراطية أن الشرعية تأتي من الشعب فتح في الوقت نفسه طريقا

---

[1] – يوسف، كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سبق ذكره، ص217.

[2] – المرجع نفسه، ص216.

محفوفة بالمخاطر من خلال تحديده لمفهوم الإرادة العامة حيث لا يوجد مكان للنقد والمعارضة والحرية الفردية معارضة الإرادة العامة ليست مستحيلة فقط لا يمكن أن نعترض على أنفسنا لكنها تبلغ حد الفاجعة لأنها تبعدك عن المجتمع، إن فكرة الإرادة العامة هي فكرة استبدادية."[1] ما نستشفه من هذا القول أن الكثير من المنتقدين لبعض مناحي فكر هذا الفيلسوف اعتبروا أن ما يرتبط بحكم الجماعة قد يفتح الباب أمام الاستبداد خاصة مفهوم الإرادة العامة.

رغم كل هذه الانتقادات التي تعرضت لها أراء روسو، لا يمكن أن ننكر ما حظيت به نظريته من أفكار إيجابية أشتهر بها ، وجعلت منها فلسفة سياسية متكاملة، وهذا ما قاله أحد المفكرين عنه "كانت القوة الدامغة لافتراضاته واقتراحاته دامغة وعنيفة،... ولقد فاقت خيالاته ومغالطاته تلك الملاحظات العقلية الرفيعة التي أتى بها مونتيسكيو ، ولعل أكبر دليل على هذا التفوق هو الشواهد التي صدرت عن فلسفة السياسة البحتة من جهة، والتطبيقات السياسية من جهة أخرى، فلقد تحولت اقتراحات روسو في كل مكان إلى نظريات رائعة."[2] ما يبين أن فلسفته كانت مرجعا هاما في ميدان السياسة، لما حملته من تكامل وتناسق في جوانبها المتعددة.

نالت أفكار روسو الكثير من الاستحسان والتأييد من طرف معاصريه وهذا ما تكلم عنه المفكر المصري عباس محمود العقاد حيث قام بمقارنة بينه من جانب، وعدد من

---

[1] – دانيال ، سالناف: روسو معاصرنا بتمزقه وقلقه، مجلة أفاق المستقبل، العدد 15 ، يوليو، أغسطس، سبتمبر،2012 ، ص 83.

[2] – عبد الله المعطي محمد ،علي: تيارات فلسفية الحديثة، مرجع سبق ذكره ، ص459.

الفلاسفة والمفكرين في عصره من جانب آخر، حيث يقول العقاد: " روسو أعظم من مونتسكيو لأنه يستمد الشرعية من حياة الإنسان، أما مونتيسكيو يستمدها من نصوص القوانين، وروسو أعظم من فولتير لأنه مبتكر مخلص، وفولتير قليل الابتكار وقليل الإخلاص، وأعظم من ديدرو لأن روسو تجاوز عصره أما ديدرو فقد ضل مستغرقا في زمانه."[1] يدل هذا الكلام على شهادة صريحة على مكانة روسو مقارنة بما قدمه جيله الفلاسفة.

تخلل فكر روسو السياسي أهداف تجسدت على أرض الواقع وكانت لها الفضل على المواطن وعلى الدولة وهو ما لمسناه في رفع قيمة القانون" فمع روسو، ومنذ روسو، تتحدد الديمقراطية بهذه العبارة التي أطلقها الكاهن الكاثوليكي لاكورديرLacordaire عام 1848 بين القوي والضعيف، بين الغني والفقير، بين السيد والعبد الحرية هي التي تضطهد والقانون هو الذي يحرره."[2] وهو ما يعني أن القانون عنده كان الهدف منه تحرير الشعب من طغيان النظم الفاسدة التي عاشها، في المقابل العيش في ضل دولة ديمقراطية.

ما يحسب كذلك عليه " أنه أخضع كل شيء للفكر النقدي انطلاقا من مبدأ أن كل شيء قابل للنقد وإعادة النظر، وذلك من أجل الخروج من الأفكار المسبقة، وهذا ما اختصره نيتشه في القرن التاسع عشر بقوله "إن اليقين سجن" يقتضي هذا المنطلق الكف عن سياسة التمويه،.. يمكن النظر اليوم إلى أطروحات بعض المفكرين الغربيين الذين استلهموا أفكار

---

[1] – عيسى محمد، ديما: الطبيعة البشرية عند فلاسفة التنوير الفرنسي وأبعادها التربوية، مرجع سبق ذكره، ص104.
[2] – دانيال ، سالناف: روسو معاصرنا بتمزقه وقلقه، مرجع سبق ذكره، ص83.

فلاسفة عصر الأنوار ومن بينهم روسو."[1] كان روسو يحذوه طموح واسع في تصحيح المفاهيم القديمة وإيجاد أساليب جديدة من خلال ممارسة طابع نقدي في فلسفته هدفه بذلك تحرير الأجيال القادمة من القيود التي يفرضها المجتمع.

أفرزت أعماله قيم جديدة فتحت آفاقا للتفكير في الأمور السياسية للمجتمعات المعاصرة التي استفادت من المبادئ الإيجابية التي نص عليها العقد الاجتماعي وهو ما نجده عند الفكر الكانطي في تشبعه بالروح الروسوية حيث كان يقول " لقد كنت بطبعي مولعا بالعلم ووضعت فيه شرف الإنسان الفردي، فردني روسو على الصواب وعلمني أن أضع في مكارم الأخلاق كرامة الإنسان على الحقيقة وأن الحالة الطبيعية أسمى من الحالة المدنية وتعلمت منه أصول التربية السليمة التي تقوم على ضمان حرية الميول الطبيعية."[2] يتبين هنا أن كانط كان متأثرا بفكر هذا الأخير سواء سياسيا، أو اجتماعيا، أو تربويا ويظهر هذا في موقف روسو من الحالة الطبيعة على أنها أفضل الحالات سلاما والحرية.

إضافة إلى ما قلناه سابقا نجد الفيلسوف الألماني هيغل كان متأثر في جوانب من فكره وهو ما "تجلى في ربطه بين الوعي الذاتي (الحرية الذاتية للفرد) والوعي الموضوعي (الحرية الموضوعية للمجتمع) وظهورهما معا في الكل الأخلاقي (الدولة) ، فعند هيغل ومذهبه المثالي تظهر أهمية روسو الكاملة وخصوصا في ذلك تمجيد الإرادة الجماعية

[1] – دانيال ، سالناف: روسو معاصرنا بتمزقه وقلقه، مرجع سبق ذكره، ص81.

[2] – بن حجية ، عبد الحليم: القيم الأخلاقية بين المطلق والنسبي دراسة تحليلية نقدية لنظرية القيمة الأخلاقية عند كانط ، مذكرة ماجستير، جامعة وهران السانيا، كلية العلوم الاجتماعية، السنة الجامعية 2013–2014 ، ص ص 51–52.

والمشاركة في الحياة العامة."[1] ما نستشفه من هذا القول أن هيغل حاول التركيب بين الحرية الفردية والجماعية وكيف تتجسد كليهما في الدولة، وهو ما عرف به في فلسفته بالثالوث، إضافة إلى أنه كان من أنصار الإرادة العامة التي ظهرت في الفلسفة الألمانية على يده، واعتبارها قوام الأمة وروحها، وهو ما يعود على جان جاك روسو.

تجيب الباحثة الفرنسية دانيال سالناف في حوار لها عن الفيلسوف روسو " أن ما يمكن أن نصنفه بالحداثة هو العقد الاجتماعي وتحديده لفكرة الشعب السيد، أضيف أن ما هو حديث في نظري أيضا هو الإحساس بالألم الذي طبع شخص روسو ونتاجه."[2] ما يجعله فيلسوف معاصر لما قدمه من أفكار في المجال السياسة ومجالات أخرى ما زالت محل قبول لدى الكثير من المفكرين.

قدم روسو طيلة مسيرته الفكرية الكثير من الحلول والرؤى في إطار سير الأنظمة السياسية الناجحة، وتحسين العلاقات الاجتماعية بين البشر، وهو ما يحسب عليه في كونه مختلف عن غيره من الفلاسفة، وعن مدى وضوح وقبول أفكاره في نقاشات مختلفة، لذا الالتفات حول هذه الرؤى أمر ملح نظرا لما تقتضيه متطلبات الواقع المتجددة وهو ما يفتح تساؤلات تمهد للبحث مجددا في فكره وفلسفته.

---

[1] – النشار، مصطفى: فلاسفة أيقظوا العالم، مرجع سبق ذكره، ص279.

[2] – دانيال ، سالناف: روسو معاصرنا بتمزقه وقلقه، مرجع سبق ذكره، ص83.

خاتمة:

ما يمكن قوله كخاتمة للفصل أن الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو المسكون بأفكار العدالة والحرية والمساواة، وصاحب نتاج فكري فلسفي ضخم لم يخفت بريقه منذ لحظة وفاته، وهذا ما تجسد في الأثر الذي تركه سواء في الفكر الغربي أو العربي، حيث حملت الوثيقة العالمية حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي ترجمة لمبادئ روسو وإلى بسط الحرية والديمقراطية في جميع الدساتير، بالإضافة إلى حضوره في العالم العربي منذ القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وهذا نتيجة إلى انفتاح مفكري العرب على الثقافة والآداب الفرنسية، وهو ما رأيناه مع نموذجين عبد الله العروي وفرح أنطون.

خاتمة

انطلاقا مما توصلنا إليه في هذه الدراسة نخلص في الأخير أن قراءة فكر روسو أمر مهم لابد من العودة إليه وجعله مرجع يقتدى به في الفكر السياسي، إذ أن تجربة هذا الفيلسوف ما هي إلا تعبير عن روح العصر والتي تجعلنا نستفيد منها في ضل واقعنا الراهن، وما يجعلها تجربة فذة ما حملته من مبادئ صنعت إنسانية الإنسان ومنحت له حقوقا لا يمكن بيعها ولا شراءها ولا انقسامها، تجسدت في تطوير النظم السياسية والسير إلى بسط دولة ديمقراطية تحترم الحرية والمساواة والعدالة.

عكست الحرية رؤية الفيلسوف جان جاك روسو حول واقع عصره، حيث آمنت فلسفته بتحرير الإنسان من مظاهر الظلم والاستبداد التي كانت سائدة في فرنسا في القرن الثامن عشر، وهذا لمنحه صفة الإنسان في المجتمع والمواطن في الدولة، فقد أسهمت كل تلك الظروف في تكوين مفاهيم روسو وجعلت منه فيلسوف ابن بيته، فيلسوف بجدارة لأنه آمن أن الحرية أساس الوجود الإنساني مرتبطة به وتحقق ماهيته، وضياعها يعني انعدام صفة الإنسان، وأنها بوابة النظام السياسي الصالح الذي يهدف للتعبير عن كينونة الفرد في الممارسة الديمقراطية.

لمع اسم روسو بالفيلسوف المحب للطبيعة فكل شيء يخرج منها فهو حسن وصالح، يعيش الإنسان في هذه الحالة برأيه في خير ومحبة وسعادة وأهم شيء يتمتع بالحرية المطلقة، لأنه ولد حرا، تغيب فيها كل أشكال القيود والحواجز، هذه الصورة المثالية التي رسمها روسو في نظريته السياسية والسابقة للمجتمع المدني الغرض منها توضيح أن كل مظاهر الصراع والفساد والأنانية التي أصبحت تعاني منها البشرية نتيجة عصر المدينة، إلا

أن الانتقال من الحالة الأولى إلى المدينة فرضتها تلك الظروف الصعبة التي أتعبت الإنسان، وللاستمرار في العيش والحفاظ على هذه القيم في الدولة الحل يبينه روسو أن عليهم أن يتحدوا ويتضامنوا في ما بينهم وذلك بإبرام عقد، ومن هنا بسط في نظريته السياسية التي كانت نتيجة عوامل موضوعية وذاتية ساعدت في تبلور فلسفته في نظرية العقد الاجتماعي الذي تجسد في كتابه السياسي العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي والذي وصف بأنه إنجيل الحرية للثورة الفرنسية 1789.

يرى روسو أن العقد هو التزام جماعي يتحد فيه الواحد مع الكل بالتراضي والتوافق بدون إكراه خارجي، وهذا لأنه لا وجود للقوة في قاموس روسو وإنما يوجد قانون عادل، هذا البعد الواسع للعقد منح شرعية سياسية تأتي من الشعب تتبناها الإرادة الجماعية يتخلى فيها الأفراد عن الحرية الطبيعية للدولة وعن كل حقوقهم مقابل حقوق أخرى مدنية، هذا التخلي ما هو إلا صورة شكلية ليخضع فيها الفرد للقوانين تمليها عليه المصالح العامة ويبقى مستقلا بهويته وبذاتيته وحريته، يكون هدف العقد هنا إيجابي في تجسيد المواطن والإنسان في آن واحدة.

كشفت عظمة فكر هذا الرجل عن خطوط عريضة في إنصاف مكانة الإنسان وفي الديمقراطية ، والسيادة الشعبية، والعدالة، والحرية، شكلت بذلك ركائز أساسية لأي نظام سياسي ناجح، ومرجعية مهمة في الفكر السياسي الحديث استوحت منه فرنسا كل هذه المفاهيم في إعلان حقوق المواطن والتي تجسدت فيما بعد ميلاد مرجعيات أساسية لكل الدساتير العالمية المعاصرة تمجد حقوق الإنسان وكرامته، وإن كانت براهين وتنظيرات روسو

بعيدة زمنيا وجغرافيا إلا أنه لابد من الرجوع إليها لما تلتمسه من وضوح وقبول، وكشعوب عربية نحتاج إليها بالفعل لنمو الوعي السياسي والاجتماعي لدينا في السير نحو تحقيق الهوية الذاتية، ولنخضع لدولة عادلة وللحق والواجب، ومحطة مهمة لأنها تساعد في إعادة التفكير في أن الحرية مطلب إنساني لا يمكن لمسؤول الحكم أن يتجاهلها أو يضطهدها بغرض أنه على السلطة، فهي لم تعد شعور يشعره الفرد داخل الدولة وإنما يتجسد في العمل والممارسة الذي يفرضه القانون فهو الحامي لها والمهذب.

وإن يكن فإننا نتوصل إلى حقيقة مفادها أن مسألة الحرية أخذت اليوم طابع إشكاليا تحدده العديد من الظروف والمسوغات التي نشهدها في الوقت الراهن، إلا أنها تضل قضية حياتية وهو ما لمسناه في الساحة السياسية اليوم وما مثله الحراك السياسي الشعبي.

قائمة

المصادر والمراجع

فهرس المصادر باللغة العربية والأجنبية

❖ **القرآن الكريم:رواية ورش.**

- **المصادر**

✓ **مصادر جان جاك روسو باللغة العربية:**

1) روسو، جان جاك: إميل أو التربية الطفل من المهد الى الرشد، تر: نظمي لوقا، الشركة العربية لطباعة والنشر، القاهرة.

2) روسو، جان جاك: خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، تر: بولس غانم، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، بيروت، لبنان، 2009.

3) روسو، جان جاك: دين الفطرة، تر: عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي للنشر، ط1 ، بيروت، لبنان، 2012.

4) روسو، جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر: عبد العزيز لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، بيروت ، لبنان، 2011.

✓ **مصادر جان جاك روسو باللغة الأجنبية:**

1) Rousseau, Jean-Jacques: Discours sur l'origine et les fondements de L'inégalité parmi les hommes, Édition électronique, les échos du maquis,2011.
2) Rousseau, Jean-Jacques: du contrat social ou principes du droit politique, metalibri, 2007.

- **المراجع:**

1) إبراهيم، زكريا: مشكلة الحرية، مكتبة مصر، دط ، القاهرة، 1971.

2) إبراهيم، مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، دط ، الإسكندرية، 2001.

3) أحمد صيام، عزة : تاريخ الفكر الاجتماعي، مركز التعليم المفتوح، دط ، جامعة بنها، دت 2012.

4) أرسطو، طاليس: السياسة، تر: أحمد لطفي السيد، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، دط ،1948.

5) أفلاطون: الجمهورية، فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، دط الإسكندرية، 2004.

6) تسيمر، روبروت: في صحبة الفلاسفة مدخل لأعمالهم الفلسفية الرائدة، تر: عبد الله محمد أبوهشة ، الجزء 2، دار الحكمة، دط ، لندن، 2012.

7) توفيق مجاهد، حورية: الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مكتبة 485، ط7، القاهرة، 2019.

8) جلال، حسن: الثورة الفرنسية دار الكتب المصرية، دط ، القاهرة، 1928.

9) جميل، حسين: حقوق الإنسان في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، دط ، بيروت لبنان، 1986.

10) حسيب، سعيد: أعلام الفكر الفرنسي، دار الشرق والغرب، دط ، القاهرة مصر ، 1950.

11) حسين هيكل، محمد: جان جاك روسو حياته وكتبه، دط ، دت.

12) الحميدي، عبد العزيز بن أحمد بن محسن: مفاهيم الحرية وتطبيقاتها، مركز التاصيل للدراسات والبحوث، ط1 ، السعودية، 2013.

13) دولوكج ، تمارا: افتتاحات فلسفة التنوير (دنيس ديدرو) ، تر: نبيل عماد، دار الفارابي، ط1 ، بيروت لبنان، 2013.

14) ديكارت، رونيه: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، تر: الحاج كمال، منشورات عويدات ، ط4 ، بيروت باريس، 1988.

15) ديكارت، رونيه: مقال في المنهج، تر: محمود محمد الخظيري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3 ،1985.

16) ديوارانت ، ول وايريل: قصة الحضارة (روسو والثورة) ، الجزء1 ، تر: فؤاد أندراوس ، دار الجبل للطباعة والنشر، دط ، بيروت.

17) رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي ، الجزء3 ، المصرية العامة للكتاب، دط ، الإسكندرية مصر، 1977.

18) سباين ، جورج: تطور الفكر السياسي، تر: حسن جلال العروسي ، ج 1، دار المعارف، دط ، مصر.

19) سوبول ، ألبير: تاريخ الثورة الفرنسية، تر: جورج كوسى ، منشورات عويدات ، ط4 ، بيروت لبنان، 1989.

20) صافي، لؤي: الحرية والمواطنة والإسلام السياسي قضايا الربيع العربي والتحولات السياسية الكبرى، دار المجتمع المدني والدستور، ط1 ، 2012.

21) عامر السوداني، أنسام: فلسفة حقوق الإنسان هوبز لوك مونتيسيكو روسو، مكتبة مؤمن قريش، ط2 ، بيروت لبنان، 2017.

22) عباس عطيتو ، حربي: ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، دط ، الإسكندرية، 1992.

23) عبد الله المعطي محمد، علي: تيارات الفلسفة الحديثة، دار المعارف الجامعية، دط ، الإسكندرية مصر ، 1998.

24) عبد المعطي، فاروق: جون لوك ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1993.

25) العرباوي ، عزيز: مفهوم الحرية في الإسلام وفي الفكر الغربي (رؤية بانورامية) ، مؤمنون بلا حدود لدراسات والأبحاث، دط ، المملكة المغربية، 2016.

26) عوض، لويس: الثورة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط ، مصر ، 1992.

27) عويضة كامل محمد، محمد: أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت لبنان، 1993.

28) غروتويزن ، برنار: فلسفة الثورة الفرنسية، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات ، ط1 ، بيروت لبنان، 1982.

29) غوش ، ريمون: الفلسفة السياسية في العهد السقراطي، دار الساقي، ط1 ، بيروت، لبنان.2008.

30) الفارابي، أبي نصر: كتاب السياسة المدنية، تر: علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال، ط1 ، بيروت لبنان، 1996.

31) فولتير: قاموس فولتير الفلسفي، تر: نبيل يوسف، مؤسسة هنداوي ، دط ، المملكة المتحدة،2017.

32) فولغين ، ف: فلسفة الأنوار، تر: هنرييت عبودي ، دار الطليعة لطباعة والنشر، ط1 ، بيروت لبنان، 2006.

33) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي ، دط ، القاهرة، 2012.

34) كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة، دط ، مصر، 2012.

35) كريستون ، أندريه: روسو حياته، فلسفته، منتخبات، تر: صقر نبيه، منشورات عويدات ، ط4 ، بيروت باريس، 1989.

36) لوك ، جون: رسالة في التسامح، منى أبو سنه، المجلس الأعلى لثقافة، ط1 ،الإسكندرية، 1997.

37) لوك ، جون، في الحكم المدني: تر: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، دط ، بيروت، 1959.

38) محفوظ، مهدي: اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 1990.

39) محمد إسماعيل، فضل الله: رواد الفكر السياسي الغربي الحديث، مكتبة بستان المعرفة، ط1، الإسكندرية، 2005.

40) محمد إسماعيل، فضل الله: نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، مكتبة بستان المعرفة ، دط ، الإسكندرية، 2005.

41) مراد، محمود: الحرية في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، دط الإسكندرية، 1999.

42) المستكاوي ، نجيب: جان جاك روسو حياته، مؤلفاته، غرامياته، دار الشروق، ط1 ، بيروت، 1989.

43) النشار، مصطفى: الحرية والديمقراطية والمواطنة قراءة في فلسفة أرسطو السياسية، الدار المصرية السعودية، ط1، القاهرة، 2009.

44) النشار، مصطفى: تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون، دار قباء لطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، القاهرة، 1991.

45) النشار، مصطفى: فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء للطباعة والنشر، ط3، القاهرة، 1998.

46) النقاطي، حاتم: مفهوم المدينة في كتاب السياسة لأرسطو، دار الحوار لنشر والتوزيع، ط1 ، سورية، 1955.

47) هوبز، توماس: الليفياثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، تر: ديانا حرب، وبشرى صعب، هيئة أبوظبي لثقافة والتراث، دار الفارابي، ط1 ، بيروت لبنان، 2010.

48) وافي، علي عبد الواحد: المدينة الفاضلة للفارابي، نهضة مصر لطباعة والنشر والتوزيع، دط ، القاهرة.

49) وقيع الله أحمد، محمد: مدخل إلى الفلسفة السياسية (رؤية إسلامية) ، دار الفكر، ط1 ، دمشق سوريا، 2010.

50) ووكلر ، روبرت: روسو مقدمة صغيرة جدا، تر: أحمد محمد الروبي، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة، ط1 ، القاهرة مصر، 2015.

- **المجلات والمواقع الإلكترونية:**

1) الجلالي، محمد: ملامح الحداثة السياسية في فلسفة جان جاك روسو من الحياة العارية إلى المجتمع السياسي، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 50، 2019، جامعة الحسن الثاني المغرب، ص5،أطلع عليه يوم: 06/03/2020 من موقع: http://jilrc.com/

2) حسن قدرة، عبد العال: تأثير جان جاك روسو على فرح أنطون (دراسة مقارنة) ، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد10 ، العدد الأول، غزة فلسطين، 2002.

3) دانيال، سالناف: روسو معاصرنا بتمزقه وقلقه، مجلة أفاق المستقبل، العدد يوليو، أغسطس، سبتمبر،2012 .

4) درويش، حسام الدين: جان جاك روسو الاعتراف تمهيد في مشروعية دراسته فلسفيا وعربيا، مجلة تبين، المجلد3 ، العدد 10 ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.

5) زيان محمد، صايم عبد الحكيم: الإنسان ومشروع المواطنة في فلسفة جان جاك روسو، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد21 ، جامعة وهران، 2016.

6) الشادلي ، مصطفى: حنة آرندت ونقد التصور الفلسفي للحرية، مجلة تبين، المجلد7 ، العدد25 المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، 2018.

7) عبد اللطيف، كمال: لماذا ترجم عبد الله العروي نص دين الفطرة؟ ، مجلة تبين، المجلد الأول، العدد الأول، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

8) عجيل منهل، علي: المفكر فرح أنطون ومفهوم التساهل والتسامح وتحرر المرأة، مجلة الحوار المتمدن، العدد3085 ، السنة 2010، أطلع عليه يوم 12 /05/2020 من موقع http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=224838&nm=1

9) معروف، محمود: أفكار روسو التنويرية وتمثلاتها في الجدل السياسي العربي، أصداء الحرية، الرباط،2012، أطلع عليه يوم 04/05/2020 من موقع: https://www.swissinfo.ch/ara/culture/32983534

- **المعاجم والموسوعات:**

1) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت.

2) أبو رغيف الموسوي، رحيم: الدليل الفلسفي الشامل، الجزء الثاني، دار المحجة البيضاء، ط1 ، بيروت لبنان،2013.

3) بدوي، أحمد زكي: معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة بستان للنشر، دط ، بيروت.

4) بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، ط1 بيروت، 1984.

5) الحنفي، عبد المنعم: المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولى ، ط3 ، القاهرة،2000.

6) الحنفي، عبد المنعم: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، الجزء الثاني، مكتبة مدبولى ، ط1 ، القاهرة، 2010.

7) الراغب، الأصفهاني: مفردات ألفاظ القران، تحقيق صفوان عدنان داوودي.

8) صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، دط ، بيروت، 1982.

9) طرابيشي، جورج: معجم الفلاسفة، دار الطليعة لطباعة والنشر، ط3 ، بيروت لبنان، 2006.

10) الفراهيدي ، الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق هنداوي عبد الحميد، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت لبنان، 2003.

11) لالاند ، أندريه: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول (A-G) ، منشورات عويدات ، ط2 ، بيروت باريس، 2001.

✓ **المعاجم باللغة الأجنبية:**

1) Dictionnaire Larousse de français achevé d'imprimer par Malesherbes France, 2008.

- **الرسائل الجامعية:**

1) بلقاسمي ربيعة، كرانيف فاطمة الزهراء: النزعة العلمانية في مفهوم التنوير عند فرح أنطون، مذكرة لنيل شاهدة الماستر ، جامعة جيلالي بوعمامة ، خميس مليانة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2016-2017.

2) بن حجية ، عبد الحليم: القيم الأخلاقية بين المطلق والنسبي دراسة تحليلية نقدية لنظرية القيمة الأخلاقية عند كانط ، مذكرة ماجستير، جامعة وهران السانيا، كلية العلوم الاجتماعية، السنة الجامعية 2013-2014

3) زيان، محمد: قيم المواطنة في الفكر السياسي الحديث والمعاصر جان جاك روسو أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران2 ، كلية العلوم الاجتماعية، 2018-2019.

4) عوض، بالقاسم علي يونس: دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية، جامعة عين شمس قسم الفلسفة، كلية الآداب، القاهرة مصر، 2016-2017.

5) عيسى محمود، ديما: الطبيعة البشرية عند فلاسفة التنوير وأبعادها التربوية (دراسة تحليلة مقارنة) رسالة دكتوراه في أصول التربية، جامعة دمشق، كلية التربية، 2015.

6) نعمون، مسعود: التأسيس الفلسفي في فكرة الحقوق الإنسان عند روسو، مذكرة الماجستير،جامعة الإخوة منتوري ، قسنطينة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008-2009.

الملخص

الملخص:

تعتبر قضية الحرية من القضايا الجوهرية التي أصبحت تحتل مكانة خاصة في النقاشات السياسية والاجتماعية والثقافية، فقد حظيت بالاهتمام من قبيل المفكرين والسياسيين في المجتمعات المدنية، لارتباطها بشكل مباشر بالإنسان نفسه، باعتباره كائنا حرا له حقوق طبيعة لا مجال للمساس بها أو انتهاكها، على هذا الأساس تجسدت قاعدة الحرية في العصر الحديث إلى جانب العديد من المفاهيم كالعدالة والمساواة، على أنها حقوق لا تقبل المساومة أو التنازل، ولا يمكن الفصل بينها وبين كينونة الإنسان، ولكون هذه المسألة تحمل في مضمونها أهمية كبيرة، فقد أخذت حيزا من التحليل والتنظير عند الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسوJean-Jacques Rousseau ، حيث ناضلت فلسفته لتحافظ على هذه المسلمة أمام كل التغيرات والتطورات التي طرأت على الفرد والمجتمع، وهذا انطلاقا من رفضه للمدنية لانتهاكها هذا الحق المقدس وإيمانه مقابل ذلك بالإنسان الأول الطبيعي لما يمتلكه من فضائل قوامها الفطرة السليمة وأن الحرية معطى قبلي وجدت متى وجد الإنسان، وبدونها يفقد مكانته الإنسانية، هذه القيم فتحت المجال الواسع للاهتمام بالفرد، والبلوغ إلى الغايات التي يسعى إليها في الدولة، يؤطرها مشروع اجتماعي يتأسس في صميمه على أن الفرد سيد لنفسه، ومواطنا في دولته.

الكلمات المفتاحية : الحرية، العقد الاجتماعي، الحالة الطبيعية، المساواة، العدالة، حقوق الإنسان.

Abstract:

The issue of freedom is considered as one of the most discussed topics in our political, social, and cultural life, it has always been given so much concern by intellectuals and politicians because it has direct link with man, who is a free being born with natural rights that can never been touched or violated, on this basis the notion of freedom, live other notions like equality and justice, are defined as un negotiable rights that we can never separate from man being, because the notion of freedom is so important, it has been given so much concern and analysis by the philosopher "Jean Jack Rousseau", who devoted his philosophy to defend this common conviction against all the changes and modern progressions, this philosopher defended the topic of freedom by refusing civilism which violated the sacred rights and defended the primitive man who has innate, Jean Jack Rousseau think that freedom was born with man and without it man has no value, and no position in his society, these values opened the door for man to care about attaining high positions in his society and achieving a social project based the individual as the master of himself and a free citizen in his town.

Keywords: Freedom, Social contract, Natural state, Equality, Justice, Human rights.